زاد الدعاة

من هدى القرآن الكريم

تأليف

الدكتور عبد الحي الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد
بجامعة الأزهر

(الجزء الأول)

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ·

أما بعد :

(أ) فانه فى هذا العصر :

الذى وصلت فيه إعداد المسلمين الى الألف مليون نسمة ، والذى لا تخلو فيه قارة من قارات العالم الخمس ، بل لا تخلو فيه دولة كبيرة أو صغيرة من دول هذا العالم من وجود نفس يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله على أرضها قل عدد هذا النفر أو كثر .

والذى أصبحت وسائل الاتصال فيه بين أفراد الأسرة البشرية : متعددة ، بل كثيرة ، ومنوعة ، وسريعة ، بل فورية ، وان بعدت الشقة ، وطالت المسافات بين المتصلين ببعضهم بعضا .

والذى غدا السبق والفوز فيه لمن يستغل هذه الوسائل ، قبل غيره ، أو أكثر من غيره ، أو بأساليب تكتسى : بالجدة ، والطرافة ، والاقناع ، أو الاغراء ، أكثر ـ كذلك ـ من غيره ، فى الاعلان عن أفكاره ، والدعوة الى مبادئه .

أقول : فى هذا العصر ..

أصبح الطريق سهلا ، والأبواب مفتوحة ، للتعارف ،

والتواصل ، والترابط ، والتعاون ، والتناصر ، بين أفراد هذه المجموعة الكبيرة ، التى تغطى بوجودها أرض الدنيا كلها .

تصديقا لقوله تعــالى :

(ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

وتحقيقا ـ كذلك ـ لقوله تعــالى :

(وتعــاونوا على البر والتقوى ولا تعــاونوا على الاثــم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)(٢) .

وأيضــا :

أصبح واجبا على هذه الأعداد الهائلة من المسلمين : نشر هدى الله سبحانه وتعالى ، وتبيين ملامح منهج السماء لاصلاح الانسان ، بسلوكهم ، والدعوة اليه بتصرفاتهم وأفعــالهم قبل أقوالهم ، حيث ان أثر الكلمة الطيبة ـ على الرغم من الاتفاق على فضل هذا الأثر ـ لا يصل الى جزء يســير من أثر القدوة الحسنة والمثال الحى ، الذى يخالط الناس ، ويعاشر البشر فى واقعهم ، ويتحرك معهم فى دنياهم .

(ب) ونشر هدى القرآن لاصلاح الانسان ، لا يتم على الوجه الأكمل الا :

بفهم هذا المنهج ـ أولا ـ ودراسته ، دراسة تعين على ، فهم أسراره ، ومعرفة حكمته وأحكامه .

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) المائدة ٢ .

ثانيا : بالالتزام الكامل ، والاتباع العاقل الواعى لهذا الهدى .

ثالثا : باعلام الآخرين - من المسلمين وغير المسلمين - بهذا الهدى ، اعلاما ذكيا ، والدعوة اليه بالقدوة الحسنة أولا ، وكذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

رابعا : باستغلال كل ما يسره الله تعالى للانسان فى هذا العصر ، من وسائل الاتصال والتفاهم والتقارب بين أفراد بنى الانسان ، أو بين جماعاته وأممه .

خامسا : ببذل كل ما يطلب - دماء ، أو أموالا ، أو جهودا - لتحقيق هذا النشر وهذا التبليغ ، عن طيب خاطر ، ورضى نفس .

سادسا : بالتربع - باقتدار وجدارة - فى مكان الصدارة من قيادة هذا العالم ، المحتاج الى قيادة راشدة حكيمة ، تأخذ بيده الى طريق النجاة من هذه الأوحال ، التى يزداد غرقا فيها يوما بعد يوم .

(د) خاصة : ونحن أمة وهبها الله كل شىء بسخاء ، فلدى الأمة الاسلامية : الأعداد الهائلة ، والأموال الطائلة ، المساحات الأرضية الواسعة ، والثروات الطبيعية المتعددة والكثيرة ، والعبقرية الفذة .

وفوق ذلك : وهبها : هذا الدين الخاتم ، الذى بحمايته - ولحمايته - لزم أن تكون هى الأمة القائدة لأمم الأرض كلها

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس)(٣) .

نعم على كل الناس !!

ثم يقول عز من قائل (كنتم خير أمة أخرجت للناس)(٤) .
فى الأولين والآخرين ..

نعـم ..

(د) بيد أن أكثر الناس ، فى هذا الزمان ، لا يعلمون .. !!
وكذلك : لا يستحقون .. !!

لأنه : من علامات هذه الخيرية ، وأهداف هذه الزعامة ،
أن :

نأمر بالمعروف .

وننهى عن المنكر .

ونؤمن بالله تعالى .

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهـم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) .

ولن تكون هـذه الخيرية .. الا بتحقق مؤهلاتهـا .. !!
وتوافر علاماتها .. !!

فهل نمتلك مؤهلاتها .. ؟؟

وهل تظهر فينا علاماتها .. ؟؟

---

(٣) البقرة ١٤٣ .
(٤) آل عمران ١١٠ .

فى تصورى : ان كلمة « نعم » ، لا تستطيع أن تبرز فى جواب هذا السؤال ، حتى ولو كانت تمشى على استحياء !!!!

(هـ) ولهذا ..

بعدنا عن : ركب القيادة ، ومكان الصدارة ، وصرنا - بدون هدى القرآن - صغارا ، تابعين ، تتقاسمنا الأهواء ، وتتجاذبنا الرياح ، بين الانصياع للشرق تارة ، وبين الانبهار بالغرب أخرى .

(و) وللعودة الى القيادة ..

لابد من : العودة الى هدى القرآن ، وامتلاك مؤهلات خيريتنا ، التى وهبها الله تعالى لنا ، واختصنا بها .

نعم ..

لابد من العودة الى النور .. الى القوة .. الى القرآن .. الى الله سبحانه وتعالى .

(ز) وهذا الكتاب : على اعواز فيه وتواضع و - كذلك - بقية أجزائه اللاحقة له ان شاء الله تعالى .

أتمنى من الله تعالى أن يكون :

- بلسما لبعض جراح هذا العالم ، اللاهث فى حروبه ، الغارق فى ذنوبه ، التائه عن درب عزه وأمنه وسعادته .

- و « **زادا للدعاة** » الى الله تعالى - وأنا منهم - ينير لهم - وأنا معهم - الطريق الى طاعة الله تعالى ، ويمد لهم - ولى كذلك - يد العون والمساعدة فى الوصول الى حسن عبادة الله

تعـالى ، بالامتثال ، والقدوة الصـالحة ، والتبليغ بالموعظـة الحسنة ، والكلمة الطيبة ، أملا فى نشر هدى القرآن الكريم ، وتوسلا لنيل رضوانه سبحانه وتعالى .

ـ ودرجة من درجات الصعود نحو امتلاك مؤهلات خيرية هذه الأمة ، والعودة لهذه القيادة الضائعة منا ، والزعامة الباكية علينا .

(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم **الأشهاد**)(٥) .

* * *

(ح) وقد يلاحظ القارىء الكريم :

أن الترابط والتسلسل مفقود بين موضوعات الكتاب ٠

بيد أن الهدف من جميعها ـ على التباين الواضح بينها ـ واحد ، وهو تقديم : « **زاد للدعاة** » ، يحقق فيهم القدوة الحسنة ويمكنهم ، وييسر لهم ، تبليغ هدى القرآن الكريم ـ فى اصلاح الناس ، ودنيا الناس ـ لغيرهم ٠

(ط) ختـــاما :

أضرع الى الله العلى القدير :

أن : ينفعنى ، وقرائى الأعزاء ، بهذه الموضوعات .

وأن : يعيننى على اصدار باقى أجزاء هذا الكتاب .

وأن : يخلص منى ، له سبحانه وتعالى ، القصد فيه .. !!

---

(٥) غافر ٥١ ٠

وأن : ينيلنى به بغيتى منه تعالى ..

انه : نعم المولى ، ونعم المعين ، ونعم المجيب .

سبحانه وتعالى .

أرض النعام .. بالقاهرة فى يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ
٢٠ يناير ١٩٨٤ م

أبو ايمان
عبد الحى حسين الفرماوى

التوبة إلى الله تعالى
وضرورتها لبنى الانسان

- تقـــديم •
- تعـــريف •
- وجوبها الفورى •
- التوبة باب مفتوح •
  - (أ) لكل الذنوب •
  - (ب) لجميع الناس •
  - (ج) للانسان طول حياته ما لم يغرغر •
- لمـاذا ندب الله تعالى النــاس للتوبة •• ؟
- كيفية التوبة •

● **تقـــديم : ***

قرائى الأعزاء .. !!

خبرونى بربكم .. !!

هل يوجد فى هذا العالم من لم يذنب .. ؟

وهل يوجد بين بنى الانســان من لا يخطىء .. ؟

اعتقـد .. أن الجواب الصــادق هو : لا .. وألف لا ، بل ان هـذا الشخص لن يوجد أبـدا .

ففى الحديث الشريف : عن أنس رضى الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين : التوابون »(١) .

ويروى عن الحسن : أنه لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام ، هنأته الملائكة ، وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام ، فقالا : ياآدم قرت عينك بتوبة الله عليك ؟ فقال آدم عليه السلام : ياجبريل .. ! فان كان بعد هذه التوبة سؤال : فأين مقامى ؟ فأوحى الله اليه : ياآدم .. ! ورثت ذويك التعب والنصب ، وورثتهم التوبة ، فمن دعانى منهم : لبيته كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة : لم أبخل عليه ، لأنى قريب مجيب ياآدم ، وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضــاحكين ، ودعاؤهم مستجاب(٢) .

(*) نشر أصل هذا البحث : بمجلة « رابطة العالم الاسلامى » التى تصدر بمكة المكرمــة ، العـدد ٤ السـنة ١٩ الصــادر فى ربيع الثانى ١٤٠١ هـ ، الموافق ٤ فبراير ١٩٨١ م .

(١) رواه : ابن ماجة ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر التوبة .

(٢) الامام الغزالى احياء علوم الدين ٧/٤ .

وكان قتادة رضى الله عنه يقول : القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم : فالذنوب ، وأما دواؤكم : فالاستغفار(٣)

وعلى هذا :

فكل بنى آدم خطاء ، والخطأ مركب فينا ، وهو داؤنا ، ولا علاج لبنى آدم من هذا الداء الا بالتوبة .

اذا :

لابد من التوبة ، بل لابد من المداومة على التوبة ، تسلحا بها فى وجه الخطأ الناشىء عن ضعف طبيعتنا البشرية ، ومسحا بها ـ كذلك ـ لذنوب النفس الأمارة بالسوء .

● **تعـــريف .**

وأصل التوبة فى اللغة : هو الرجوع ، يقال : تاب وثاب ، وأناب وآب ، والكل بمعنى : رجـع .

ومعناها فى الاصطلاح الشرعى : الرجوع عن الذنب ، يقال : تاب الى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا ، أى : أناب ورجع عن المعصية الى الطاعة(٤) .

وعلى هـذا :

فهى بالمعنى اللغوى : تكون من الله تعـالى ، وتكون من الانسان ، أما بالمعنى الاصطلاحى : فلا تكون الا من الانسان .

فتكون من الله سبحانه وتعالى اذا عاد على عبده بالصفح

---

(٣) الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ٢ / ٢٩٠ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ـ مادة توب .

والغفران ، يقول عز من قائل (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه) (٦) .

وهى من الانشغال بترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار ، فان الاعتذار على ثلاثة أوجه : اما أن يقول المعتذر لم أفعل ، أو يقول : فعلت لأجل كذا ، أو يقول : فعلت وأسأت وقد أقلعت » (٧) ولن أعود .

وقد وردت مادة التوبة فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية كثيرا (٨) .

وهى حيثما وردت فيهما : تدور حول هذين المعنيين .

* وجوبها الفورى :

التوبة الى الله تعالى بالاقلاع عن الذنب ، وترك العود اليه ، من الأمور الواجبة على الفور – دون تأخير أو تكاسل – عقب اقتراف الذنب أو مباشرة المعصية .

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على هذا الوجوب .

فقد قال سبحانه وتعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) أى توبوا الى الله [illegible] كما

(٥) المائدة ٣٩ .

(٦) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٧٤/٦ .

(٧) الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن ص ٧٦ .

(٨) راجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وكذلك : المعجم المفهرس للالفاظ الحديث النبوى . مادة : توب .

يقول الامام القرطبى ـ لا تخلون من سهو وتقصير فى أداء حقوق الله تعالى ، فلا تتركوا التوبة فى كل حال(٩) .

ويقول الله سبحانه وتعالى(يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير)(١٠) ، فقد أمرهم سبحانه وتعالى بالتوبة ـ كما يقول : الخطيب الشربينى(١١) ـ وهى فرض على الأعيان(١٢) فى كل الأحوال وفى كل الأزمان(١٣) .

ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : بصيغة الأمر الواجب النفاذ فورا « يأيها الناس ! توبوا الى الله ، فانى أتوب فى اليوم اليه مائة مرة »(١٤) .

ومن هنـــا :

قال لقمان الحكيم لابنه : « يابنى .. !! لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغته »(١٥) .

---

(٩) المرجع السابق ٢٣٨/١٢ .   (١٠) التحريم ٨ .

(١١) محمد أحمد الشربينى ، فقيه مفسر .. (ت ٩٧٧ هـ ـ ١٥٧٠ م) .

(١٢) اى فرض على كل شخص بعينه لا تسقط عنه بفعل غيره .

(١٣) الجمل : الفتوحات الالهية ٣٦٩/٤ .

(١٤) رواه : مسلم ـ كتاب الذكر ـ باب استحباب الاستغفار .

(١٥) الامام الغزالى : المرجع السابق ١٥/٤ ، ١٦ .

● **التوبة باب مفتوح ٠**

لما وعد الله تعالى بقبول التوبة فى قوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده)(١٦) ٠

وكذلك : لما فتح سبحانه وتعالى باب الرجاء فى عفوه ورحمته بقوله الكريم (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)(١٧) ٠

أقول :

لما كان هذا الوعد الدائم .. !! وهذا الرجاء الذى لا يغلق بابه . !! كانت التوبة بابا مفتوحا .

نعم ٠٠

(أ) مفتوح لغفران كل الذنوب ٠

أولا : بالنسبة للشرك بالله تعالى ٠

قال بعض أهل العلم : كل من اجترم جرما ، فالى الله أمره ، فى عذابه والعفو عنه ، الا أن يكون جرمه شركا بالله وكفرا ، فانه ـ حينئذ ـ ممن حتم عليه أنه من أهل النار اذا مات على شركه(١٨) .

---

(١٦) الشورى ٢٥ ٠

(١٧) الزمر ٥٣ ٠

(١٨) أنظر : الطبرى جامع البيان عن أى القرآن ٢٧٨/٥ (بتصرف يسير) ٠

يقول سبحانه وتعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)(١٩)

وأما من تاب عن شركه وآمن قبل موته فإن الله سبحانه وتعالى يقبل منه توبته ويغفر له شركه ، حيث يقول سبحانه (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)(٢٠) .

ويقول عز من قائل عن صفات عباد الرحمن (والذين لا يدعون مع الله الها آخـر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)(٢١) .

هذا عن الشرك ـ والعياذ منه ـ بالله تعالى :

ثانيا : ما سواه من الذنوب

فباب التوبة ـ كذلك ـ لغفرانها صغيرها وكبيرها ، قليلها أو كثيرها مفتوح .

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ، ثم خرج يسأل ، فأتى راهبا فسأله ، فقال له : هل من توبة ؟ قال : لا ، فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا فان بها أناسا

---

(١٩) النسـاء ١١٦ .

(٢٠) طه ٨٢ .

(٢١) الفرقان ٦٨ ـ ٧٠ .

يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سـوء ، فانطلق . فأدركه المـوت فنـاء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله الى هذه أن تقربى ، وأوحى الى هذه أن تباعدى ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجد الى هذه أقرب بشبر ، فغفر له »(٢٢) .

وعن أبى هريرة : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ، ثم تبتم ، لتاب عليكم »(٢٣) .

ويروى : أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود عن ذنب ألم به ، هل له من توبة ؟ فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت اليه ، فرأى عينيه تذرفان ، فقال له : ان للجنة ثمانية أبواب ، كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة ، فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق ، فاعمل ولا تيأس »(٢٤) .

ويروى كذلك ـ أنه كان فى بنى اسرائيل شاب ، عبد الله عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سـنة ، ثم نظر فى المرآة ، فوجد الشيب فى لحيته ، فساءه ذلك ، فقال : الهى !! أطعتك عشرين سنة ، ثم عصيتك عشرين سنة ، فان رجعت اليك أتقبلنى .. ؟ فسمع قائلا يقول : ـ ولا يرى شخصا ـ أحببتنا

---

(٢٢) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء ، ورواه مسلم فى كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل .

(٢٣) رواه : ابن مـاجة ـ كتـاب الزهـد ـ باب فى ذكـر التـوبة (واسـناده حسن) .

(٢٤) الامام الغزالى .. احياء علوم الدين ٤/١٩

فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وان رجعت الينا قبلناك »(٢٥) .

وفى الأثر : يقول الله عز وجل « ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فأغفر له ، ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فأغفر له ، لا هو يترك الذنب من مخافتى ، ولا ييأس من مغفرتى ، أشهدكم ياملآئكتى أنى قد غفرت له(٢٦) .

(ب) مفتوح لجميع الناس ، حتى تطلع الشمس من مغربها .

ولأنه كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ فيما روى عن أنس : « كل بنى آدم خطأ »(١) .. !!

كان من رحمة الله تعالى ، التى وسعت كل شىء : أن يكون باب التوبة مفتوحا لكل بنى آدم ، كافرهم ومؤمنهم ، عاصيهم ومطيعهم ، يعبرون منه تخلصا من أدران ضعفهم وأخطاء بشريتهم ؛ ليعودون بعد ولوجه ، والتطهر فى محرابه ـ وقد نفضوا أوزارهم التى كانوا يحملونها على ظهورهم ويكبلون بقيودها أنفسهم ـ ليعودون وقد اكتسوا بحلل الثقة بأنفسهم ، واقبلوا على عباداتهم بروح طاهرة قوية وثابة .

ويقول تعالى (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)(٢٠) .

---

(٢٥) نفس المرجع ٠

(٢٦) المستطرف ٢/ ٢٩٠ ٠

وفى الحديث :

عن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ان الله عز وجل يبسط يده بالليل : ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار : ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها »(٢٧) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها : تاب الله عليه »(٢٨)

(جـ) مفتوح للانسان طول حياته ما لم يغرغر .

وهذا شىء طبيعى ومنطقى ، حتى تكون التوبة اختيارية لا اضطرارية ، توبة قوى على نفسه ، لا ضعيف أمام نهايته ، توبة تائب ، لا فعل يائس .

ولذا .. يقول سبحانه وتعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)(٢٩) .

نعم .. هو باب لا يغلق أمامه الا اذا حضرته الوفاة ، حينئذ يغلق فلا يستطيع العبد العبور منه ، واستغفار ربه .

أين كان . ؟ ولم لم يتب ؟ حيث كانت الفرص سانحة له قبل ذلك والظروف مهيئة ـ أيضا ـ للمعصية ، وكانت قدرته

---

(٢٧) رواه مسلم ـ كتاب التوبة ـ باب قبول التوبة من الذنوب .
(٢٨) رواه مسلم ـ كتاب الذكر ـ باب استحباب الاستغفار .
(٢٩) النساء ١٧ ، ١٨ .

على فعل المعصية كقدرته على التوبة ، واختياره لهذه كاختياره لتلك ، لكنه غفل وتغافل حينذاك وأعرض عن التوبة .

أما الآن .. !! وقد تبدل الوقت ، وأصبح الحال غير الحال ، فالله تعالى يقول :

(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)(٢٩) .

● لماذا ندب الله البشر للتوبة .. ؟

ولقد ندب الله الناس للتوبة – وحثهم عليها – طويلا وكثيرا .

ففى القرآن الكريم ..

يقول نوح عليه السلام لقومه (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ✻ يرسل السماء عليكم مدرارا ✻ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)(٣٠) .

ويقول هود عليه السلام لقومه : (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم)(٣١) .

ويقول صالح عليه السلام لقومه : (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب)(٣٢)

---

(٣٠) نوح ١٠ – ١٢ (٣١) هود ٥٢ (٣٢) هود ٦١

ويقول شعيب عليه السلام لقومه : (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)(٣٢) .

ويقول تعالى عن النصارى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)(٣٣) .

ويقول تعالى لمشركي مكة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير)(٣٤) .

ويقول تعالى للمؤمنين (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)(٣٥) .

وللمؤمنين كذلك : (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير)(٣٦) .

---

(٣٢) هود ٨٩ ، ٩٠ . (٣٣) المائدة ٧٣ ، ٧٤ .

(٣٤) هود ٣ . (٣٥) النور ٣١ .

(٣٦) التحريم ٨ .

بالاضافة الى أن الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه « بالتواب » كثيرا فى القرآن الكريم(٣٧) .

وفى الحديث :

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث ذكرنى ، والله !! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة .. ومن تقرب الى شبرا : تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا : تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الى يمشى : أقبلت اليه أهرول »(٣٨) .

وعن ابى سعيد وأبى هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يمهل ، حتى اذا ذهب ثلث الليل الأول ، نزل الى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر »(٣٩) .

بعد هذا البيان :

أعيد السؤال مرة أخرى فأقول : لماذا ندب الله البشر الى التوبة على هذا النحو :

وللجواب نقول :

كانت الدعوة للتوبة على هذا النحو المتكرر المستمر والمتوغل

---

(٣٧) أنظر المعجم المفهرس . مادة توب .

(٣٨) رواه مسلم : كتاب التوبة باب الحض على التوبة .

(٣٩) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين - باب الترغيب فى الدعاء والذكر آخر الليل .

عبر الأزمنة السحيقة الماضية ، وعلى هذا القدر من فرحة الله بها ـ وهو الغنى عنها وعنا ـ صادرة اليه من عبد أناب اليه .. لصالح الانسان من عدة وجوه :

الأول : التوبة سبب فى الخير .. كل الخير (يرسل السماء عليكم مدرارا) نعم .. كل الخير .. (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدارا ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)(٤٠) أليس الله تعالى يقول : (وفى السماء رزقكم وما توعدون)(٤١) .

الثانى : التوبة تزيد المرء قوة على قوته (ويزدكم قوة الى قوتكم) .. نعم .. حيث اعتذر الى قوى قادر ، فاكتسب رضاه ، ورضا القوى خير عون للضعيف .

الثالث : التوبة تساعد المرء على أن يحيا حياة سعيدة (يمتكم متاعا حسنا الى أجل مسمى) وذلك لأن التائب قد تخلص من ذنوبه ، وأدران ضعفه ، وطهر وجدانه ، وأصبح بلا عقد .

الرابع : التوبة توصل الانسان لرضوان الله تعالى ، وفى رضوان الله الفلاح (لعلكم تفلحون) ومن الفلاح ، ومن الرضوان (أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

الخامس : التوبة تحقق فى العبد عبوديته للحق سبحانه

---

(٤٠) سبقت .

(٤١) الذاريات ٢٢ .

وتعالى وطاعته له أو اذعانه وانابته اليه وهو أسمى ما يطمح اليه الانسان (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(٤٢).

السادس : التوبة تفصح عن رغبة صاحبها فى اعترافه بالتقصير أو الخطأ وتنبىء عن استعداده لتصحيح وضعه المنحرف وتعديل مساره الخاطىء سواء أكان ذلك فى أمور الدين أم فى أمور الدنيا ، وهذا مما يوصل الى الكمال ، ويقارب منه سواء أكان ذلك أيضا فى أمور الدين أم فى أمور الدنيا .

اذ أن الشخص الصادق فى توبته ، لابد أن تتوافر فيه عناصر ثلاثة : الفهم ، والشجاعة ، والمثابرة .

العنصر الأول : لكى يميز بين الصواب والخطأ فى أموره من عبادات أو معاملات مع الخلق أو مع الخالق سبحانه وتعالى « والحلال بين والحرام بين »(٤٣) .

والشجاعة : لكى يجد عنده القدرة على مواجهة نفسه بأخطائها .

وليس ذلك بالأمر الهين بل هو جهاد فى سبيل الله ، لا أقول انه جهاد فى ميدان القتال ، لكنه جهاد مع النفس الأمارة بالسوء فى ميدان ترقية النفس الانسانية والسمو بها عن الهبوط والانحدار .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« المجاهد : من جاهد نفسه »(٤٤) .

---

(٤٢) الذاريات ٥٦ .

(٤٣) رواه البخارى ـ كتاب الايمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه .

(٤٤) رواه : الترمذى ـ كتاب فضل الجهاد ، باب ما جاء فى فضل من مات مرابطا .

واعتراف الانسان بالخطأ أمر صعب وقاسي جدا على النفس البشرية ، ولذا يقولون " الاعتراف بالخطأ فضيلة " وان كان عملا شخصيا فقط نصف فضيلة ، حيث أن النصف الآخر لا يكون الا بتصحيح هذا الخطأ ، اذ لا فائدة من الاعتراف بالخطأ مع الاستمرار فيه .

ولذا : لا تتحقق توبة العبد الا بانابته الى الله تعالى وكفه عن معاصيه ورغبته الصادقة وعزيمته الأكيدة في عدم الرجوع الى ما يتوب منه ويبتعد عنه .

أما العنصر الثالث وهو الثبات

فلولاه لما تحققت للتوبة من نتيجة ، حيث أن الشخص غالبا لا تنقطع رغبته فيما يتوب عنه بمجرد امتناعه عن فعله ، بل ربما عاوده الحنين وصرفته الرغبة بحكم بشريته مرة أخرى الى العود اليه ، وهنا : لابد للانسان من مقاومة نفسه وهواه دائما .

يقول الامام الغزالي رحمه الله (٤٥)

« خلق الله الخلق على أقسام ثلاثة »

خلق الملائكة وركب فيها العقل ولم يركب فيها الشهوة .

وخلق الحيوان وركب فيه الشهوة ولم يركب فيه العقل .

وخلق الانسان وركب فيه العقل والشهوة معا

فمن غلبت شهوته على عقله فالحيوان خير منه ، ومن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة .

---

(٤٥) المرجع السابق .

ولن يكون الانســان خيرا من الملائكة بل حتى انســانا الا بمثابرته فى البعـد عن المعاصى ومراقبته لله تعــالى فى كل أحواله .. وأوقاته « أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »(٤٦) .

أقـــول :

والشخص الذى تتوافر فيه هذه العناصر الثلاثة : الفهم والشجاعة والمثابرة حال وبعد توبته .

لابد أن يحظى برضوان الله تعالى .

(من تاب وآمن وعمــل صــالحا فعسى أن يكــون من المفلحين)(٤٧) .

(من تــاب وآمن وعمل عمــلا صــالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)(٤٨) .

(من تــاب وآمن وعمل صــالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا)(٤٩) .

ولابد كذلك : أن ينجح فى كل مقاصده وفى كل أعماله .

---

(٤٦) رواه : البخارى ـ كتاب الايمان ـ باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام ... الخ .
ورواه : مسلم ـ كتاب الايمان ـ باب بيان الايمان فى الاسلام ... الخ .
ورواه : النسائى ـ كتاب الايمان وشرائعه ـ باب نعت الاسلام .
(٤٧) القصص ٦٧ .
(٤٨) الفرقان ٧٠ .
(٤٩) مـريم ٦٠ .

ذلك أنه ما ان يأتى أمرا من الأمور ، حتى يدرك ــ ببصيرته وبمراقبته لله تعالى وخوفه منه ــ صوابه من خطأه فيه ، فان كان على صواب : استمر على ما هو عليه ، وانكان غير ذلك : وجد فى نفسه الشجاعة للاعتراف بخطأه أمام خالقه أو أمام نفسه أو أمام الآخرين ، ووجد نفسه كذلك : قادرا على تصحيح فهمه أو فعله هذا ، وبالمثابرة على عدم الوقوع بالرجوع لهذا الخطأ مع الاستمرار فى الخط السليم : يتحقق النجاح التام .

وشخص على هذا النحو : لهو شخص قوى ، يسهل عليه الانتصار على نفسه ، وتحكمه فيها ، ودحره لأهوائها ، ومن ملك زمام نفسه : سهل عليه قيادة غيره ، وسهل عليه كذلك الارتقاء لفضائل الأخلاق ، والتحلى بها ، والبعد عن الرزائل ، والتخلى عن نقائصها .

وبالتـــالى :

فان مجتمعـــا يتوافر فى أفراده : صـــدق التوبة وشجاعة الاعتراف بالخطأ ، والقدرة على تصحيحه ، والمثابرة على ذلك ، سواء أكانوا حاكمين أم محكومين ، وسواء أكان هذا بين المرء ونفسه أم بين المرء وزوجه ، أم بين المرء ورؤسائه أو مرؤسيه ، لهو مجتمع ناهض قوى قادر على أن يشيع بين أفراده الحرية والرخاء والأمن والسلام ، ومهيأ للتمكن من حسن عبـــادة الله تعالى ، وكذلك يستحق أن يكون خليفة له تعالى على هـــذه الأرض .

ومن هنـــا :

كان اهتمام المولى سبحانه وتعـــالى بالتوبة ، ودعوته عباده اليها ، وهو سبحانه وتعالى الغنى عنهم وعنها .

ومن هنا كذلك :

يمكن لنا أن نفهم الحديث الشريف « والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »(٥٠).

ومن هنا ثالثا

يمكن لنا أن ندرك سر فرحة الخالق عز وجل بتوبة عبده على ما هو ثابت فى صحيح الحديث الذى يرويه الامام مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث يذكرنى ، والله .. ! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى شبرا : تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا : تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الى يمشى أقبلت اليه أهرول »(٣٨) .

وأخيرا ندرك السر فيما أوحاه الله الى داود عليه السلام حينما قال سبحانه وتعالى : يا داود .. لو يعلم المدبرون عنى .. كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم ؟ لماتوا شوقا الى ، وتقطعت أوصالهم من محبتى ، ياداود .. !! هذه ارادتى فى المدبرين عنى ، فكيف ارادتى بالمقبلين على .. ؟(٥١) .

---

(٥٠) رواه مسلم فى كتاب التوبة - باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة .

(٥١) المستطرف ٢/ ٢٩١ .

• كيفية التوبة :

وما دام الأمر على هذا النحو الذى ظهر معه ضرورة التوبة لمجتمع المسلمين بل ضرورتها للانسان حفاظا على انسانيته :

كان لابد من : بيان كيفية التوبة ـ فى ختام هذا البحث ـ تعليما وارشادا أولا لنفسى ، وثانيا لقرائى الكرام الباحثين عن الله السالكين طريق طاعتـه ، وثالثا ـ وأملى فى توفيق الله كبير ـ لقرائى الكـرام التائهين عن الله تعـالى ، والضـالين طريق طاعته .

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : أنه سمع أعرابيا يقول : « اللهم انى استغفرك وأتوب اليك » ، فقال : ياهذا .. ! ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين ، قال الأعرابى : وما التوبة .. ؟ قال : يجمعها ستة أشـياء : على الماضى من الذنوب : الندامة ، وللفرائض : الاعادة ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود ، وأن تذيب نفسك فى طاعة الله ، كما أذبتها فى المعصية ، وأن تذيقها مرارة الطاعة ، كما أذقتها حلاوة المعاصى(٥٢) .

وعن أبى بكر رضـى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(٥٣) : « مـا من عبد يذنب ذنبا ، فيحسن الطهور ، ثم يقوم فيصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله ، الا غفر له » ، ثم قرأ هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

---

(٥٢) الجمل ٠٠ المرجع السابق ٤/٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٥٣) رواه : أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب فى الاستغفار .

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)(٥٤) .

ومن هنا : تكون التوبة بما يلى :

(أ) المعرفة التامة ببشاعة الذنب وقبحه ـ صغر أو كبر ـ فى حق الخالق سبحانه وتعالى أو فى حق المخلوق ، ومعرفة مدى المجافاة بهذا الذنب لمرضاة الله سبحانه وتعالى .

(ب) ترك هذا الذنب أو هذه الذنوب ، فورا ، لقبحها الذى يدرك بصدق الاقبال على الله تعالى ، ونور الرغبة فى مرضاته عز وجل ، ورهبة الخشية من غضبه وعقابه (اذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة)(٥٥) فلا يكون هذا الترك : لعجز عن اقترافه ، أو مخافة غير الله عز وجل .

(جـ) العزيمة القوية الصادقة على ترك المعاصى ، والبعد عنها ، والمثابرة الدائبة والدائمة فى عدم العود اليها ، والاستمرار فى عدم الانصياع بل الالتفات الى مغرياتها .

(د) الندم القاتل ، الصادق ، على ما مضى من الذنوب ، ندما يفوق فى لوعته وألمه الندم على فوات حظ من حظوظ الدنيا ، ومن هنا كان الحديث الشريف « الندم توبة »(٥٦) .

---

(٥٤) آل عمران ١٣٥ .

(٥٥) عبس ٣٢ ـ ٤١ .

(٥٦) رواه : ابن ماجة ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر التوبة .

(هـ) الخوف الشديد ، والرهبة الثقيلة الواعية من غضب الله تعالى بسبب ما فرط فى الذنوب « عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل - لم يعمل حسنة قط - لأهله : اذا مات فحرقوه ، ثم أذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر ، فوالله ، - لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ، فلما مات : فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يارب .. ! وأنت أعلم ، فغفر الله له »(٥٧) .

(هـ) حسن الظن بالله تعالى ، والثقة فى قدرته على غفران ذنوب عباده ، والأمل فى مغفرته وعفوه ، وعدم اليأس من رحمته وصفحه ، فمن حديث لأبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى يقول : ياعبادى .. ! كلكم مذنب الا من عافيت ، فسلونى المغفرة فأغفر لكم ، ومن علم منكم أنى ذو قدرة على المغفرة فاستغفرنى بقدرتى غفرت له »(٥٨) .

(و) المسارعة الى حسن التطهر ، ثم القيام بصلاة ركعتين لله تعالى ، ثم يستغفر لله تعالى عقيبهما ، وله أن يستغفر بأى صيغة يشاء .. المهم أن يكون صادقا فى استغفاره ،

ومن صيغ الاستغفار الحسنة : ما ورد عن أبى عبد الله الوراق ، وهى :

---

(٥٧) رواه مسلم - كتاب التوبة - باب فى سعة رحمة الله تعالى .

(٥٨) رواه ابن ماجه - كتاب الزهد - باب ذكر التوبة :

اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ، ثم عدت فيه .

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ،ثم لم أوف لك به ،

وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك ، فخالطه غيرك ،

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على ، فاستعنت بها على معصيتك »(٥٩) .

(ز) ثم أخيرا : العمل الفورى على تدارك ما يمكن تداركه مما ترك ، أو وقع ف أدائه التقصير ، كاعادة الفرائض ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم ، كما يقول الامام على رضى الله عنه .

رزقنى الله واياكم : التوبة النصوح ، وقبولها . آمين .

---

(٥٩) المستطرف ٢/٢٩٠ .

المغيبات الخمس
وأثرها في حياة الناس

- تقـــديم •
- غريب الآية •
- تناسب الآية مع ما قبلها وعلاقته بالموضوع •
- المغيبات الخمس •

الاولى : ان الله عنده علم الساعة •

الثانيــة : وينزل الغيث •

الثالثــة : ويعلم ما فى الأرحام •

الرابعة : وما تدرى نفس : ماذا تكسب غدا ؟ •

الخامسة : وما تدرى نفس : بأى أرض تموت ؟

● **تقـــديم (*)** .

مما استـأثر الله تعالى بعلمه ، وحجب معرفتـه عن علم الانســان ، هــذه الاشياء الخمسة ، التيـيهم الانسانيـة بجميع أفرادها وعصورها وأمكنتها معرفتها ، وتتطلع عقولهم وقلوبهم ـ دائما وأبدا ـ الى استكناه مخبوئها ، واستجلاء أمرها .

وهى المذكورة فى قوله تعالى (ان الله عنده علم الســاعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت)(١) .

فلا يعلم عنها ـ أو عن بعضــها ـ أحد من بنى الانســان شــيئا ، فقد قال ابن عباس : « هذه الخمســة لا يعلمها الا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل ، فمن ادعى أنـه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن ، لأنـه خالفه »(٢) .

ولم يعلمها أو يعلم ببعضــها كذلك : النبى محمــد صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقد قال عبد الله بن مسعود : كل شىء أوتى نبيكم صلى الله عليه وســلم غير خمس (ان الله عنده علم الســاعة .. الى آخر الآية)(٢) .

نعم : فهى مفاتيح الغيب(٣) التى لا يعلمها الا الله ، فقــد قال صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)(٤) . انها هــذه ، أى هذه الامور الخمسة .

(*) نشر هذا البحث بمجلة « منار الاسلام » التى تصدر فى : « دولة الامارات العربية المتحدة » العدد ٦ السنة ٦ عدد جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ ـ مايو ١٩٨١ م .

(١) لقمان ٣٤ .

(٢) القرطبى .. المرجع السابق ٨٢/١٤ .

(٣) ابن كثير .. تفسير القرآن العظيم ٤٥٣/٣ .

(٤) الانعام ٥٩ .

لكن لماذا اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها على هذا النحو ؟

وهل فى اخفاء أمرها عن بنى الانسان مصلحة له ومنفعة ؟ أو غير ذلك ؟.

ان الذى نراه بادىء ذى بدء : أن اختصاص الله تعالى بعلمها ، واخفاء معرفتها عن بنى الانسان ، من أجل نعمه وعظيم لطفه على عباده .

وهذا : مانحاول بعون الله تعالى البحث عنه ، قدر طاقتنا البشرية ، واهتداء بعناية الله تعالى بالانسان ورأفته به .

غير أنه لابد لنا قبل هذه المحاولة ـ التى نأمل توفيق الله لنا فيها ـ من تقديم سريع يشرح بعض الفاظ هذه الآية الكريمة ، ثم بيان لعلاقتها بما قبلها من آيات هذه السورة الكريمة .. لنقدم تحت ظلال ذلك ، محاولتنا باذن الله تعالى .

● **شرح ألفاظ الآية .**

الساعة .. هى : يوم القيامة ، واليوم الآخر ، والحاقة ، والقارعة ، الى غير ذلك من الاسماء الكثيرة التى تسمى بها .

وقد سميت بالساعة : لأنها مع كثرة ما يحدث فيها وعظمته وتنوع هذا الذى يحدث وتباينه ، تمر عند الله تعالى وبقدرته كما تمر ساعة فى أوقاتنا هذه .

الغيث : هو ماء المطر ، وسمي غيثا لانه الكائنات الحية

جميعا ، وينفذها من الهلاك (وجعلنا من الماء كل شىء حى)(٥) .

ومن المعلوم : أن الماء أكثر ضرورة للكائن الحى - بما فيه الانســان - من الطعام ، وأن الانســان يمكنه أن يعيش فترة بلا طعام اذا توفر له الماء ، وتقصر هــذه الفترة التى يعيشــها الانســان كثيرا عن ســابقتها اذا لم يكن الماء ، ومن هنا : شاءت حكمة الله تعالى وقدرته ، أن يكون الماء أوفر من الطعام ، وأيسر ، وكذلك أرخص .

الأرحام .. هى أماكن الاجنة ، وقــد سميت هــذه الاماكن بالأرحام : أخــذا من الرحمة ، والتراحم ، الذى ينبغى أن يكون بين أفراد بنى الانســان ، الذين تخلقوا جميعا فى هــذا المكان ، وخرجوا بعناية الله تعــالى وقدرته - مع اختلاف السنتهم ، وألوانهم - جميعا منه .

والأرحام : جمع رحم ، وهو اسم يجمع تحته كافة الأقارب كما يقول العلماء ، ومعنى هــذا أن بنى الانســان جميعا أقارب يبنغى أن يســود بينهم الحب ، والوئام ، والسلام ، وان تتلاشى من بينهم الخصــومات والحروب .

● تناسب الآية مع الآيات قبلها وعلاقته بالموضوع .

ونعود الى الآية الكريمة : فنجد ان الله ســبحانه وتعالى قــد أتى بها عقب قوله تعالى فى نفس الســورة (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو

---

(٥) الأنبياء ٣٠ .

جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)(٦) .

ففى هذه الآية : أمر الله سبحانه وتعالى الناس جميعا بتقوى ربهم ، ودعاهم ـ بأسلوب الحذر الحريص على مصلحتهم ـ الى الاستعداد لهذا اليوم ، الآتى لا محالة .

هذا اليوم : الذى تذهل فيه (كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)(٧) .

هذا اليوم : الذى يفر فيه المرء من أخيه (وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)(٨) .

هذا اليوم : الذى لا يتحمل فيه أحد عن أحد شيئا ولو كان أعز الناس عنده ؛ حيث (لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) .

ومن مقتضى هذا الاستعداد : أنه ينبغى أن لا تغرنكم الحياة الدنيا وما فيها من متاع ولهو وسلطان ، اذ هى دار فناء ، ومعبر للآخرة ، وهى ابتلاء واستحقاق للجزاء .

وكذلك من مقتضى هذا الاستعداد : أنه ينبغى أن (لا يغرنكم بالله الغرور) من متاع يلهى ، أو شغل ينسى ، أو شيطان يوسوس فى الصدور .. وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم للانسان من الغرور .

---

(٦) لقمان ٣٣ .

(٧) الحج ٢ .

(٨) عبس ٣٥ ـ ٣٧ .

أقول : فى هـذا الجو ، المؤثـر ، المشـحون بالعواطف ، والانفعال ، يأتى قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة ... الى آخر الآية) مصورا ومقررا : لعلم الله الواسع الشامل ، ولقدرته غير المحدودة ، وفى نفس الوقت : مصورا ومقررا لحجم الانسان ، ومدى جهله بكثير من الأمور ، وعجزه أمام هذا المحجوب عنه ، والمغيب عليه ، وهو يظن أن علم ذلك أو بعض ذلك بين يديه أو أقرب اليه من حبل الوريد .

وفى هـذا ما فيه من : وجوب اذعـان العبـد لله تعالى ، والاعتراف بالعجز والقصور ، والجهل ، أمام العلم الالهى ، والقدرة الربانية ، وأدعى الى مسـارعته بالاشتغال فيما طلب منه ، والابتعاد وعدم التنطع حول معرفة ما حجب عنه .

● **المغيبات الخمس وسر حجب معرفتها عن بنى الانسان .**

والآن نتعرض لهذه المغيبات الخمس :

ان الله عنده :

١ ـ علم السـاعة .

٢ ـ وينزل الغيث .

٣ ـ ويعلم ما فى الأرحـام .

٤ ـ وما تـدرى نفس ماذا تكسب غدا .

٥ ـ وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

الأولى (عنده علم الساعة) .

(أ) أى : عنده فقط علمها لا عند غيره .

وفى الحديث الذي يرويه الامام مسلم فى صحيحه : عن

عمر بن الخطاب أنه قال « بينما نحن عند رسـول الله صلى الله عليه ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل ، شـديد بياض الثياب ، شـديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحـد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسـلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرنى عن الاسلام ...

الى ان قال : فأخبرنى عن السـاعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ؟

قال : فأخبرنى عن أمارتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لى : ياعمر أتدرى من السـائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : انه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »(٩) .

(ب) واختصاص الله تعالى بمعرفة وقت قيام الساعة على هذا النحو : من أجل نعمه ، وعظيم لطفه على عباده .

اذ لو علم البشر بوقتها : لرتبت الأعمال ونظمت الأحوال عندهم ، على أساس من هذا الميعاد ، وأصبح اختيارهم لما يفعلونه أو يتركونه مفقـودا ، وتفكيرهم بسبب العلم بها مسـلوبا ، واليها مشـدودا ، ولتوقفت عمارة الكون ، وسعى الانسان الدائب لذلك ، ولفقد هذا المجهول روعته ورهبته .

لكن حجب علم وقتها عنهم : يجعلهم يسيرون وفق الحكمة

---

(٩) رواه مسلم : كتـاب الايمـان باب بيـان الايمـان والاسلام والاحسان ... الخ .

التى تقول « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غـدا » فهم من وقوعها على حذر دائم ، وتوقع مستمر ، وعلى اسـتعداد لها بالعمل الصالح الذى يقدمونه من أجلها ، بالرغم من عـدم علمهم بوقتها ، لكنها قد تأتى بغتة فى أية لحظة ، ولا يكون هناك مجـال للتزود لها ، والعمل من أجلها ، فالأولى : الاسـتعداد لها من هذه اللحظة ، بل فى كل لحظة ، وهم فى نفس الوقت : يدفعهم الأمل ، وحب البقاء ، الى العمل والسعى والكد وعمارة الكون ، ولولا هذا الأمل : لبطل العمل وتوقفّ السعى ، وخرب الكون .

(جـ) أليس اختصاص الله تعالى بذلك اذا : من أجل نعمه ، وعظيم لطفه ، على عباده ؟

الثانية : (وينزل الغيث) .

(أ) أى عنده فقط القدرة على انزال الغيث لا عند غيره .

ومن الملاحظ : ان الله تعالى لم يقل (ويعلم نزول الغيث) بل قال (وينزل الغيث) بما يفيد : ان اختصـاص الله تعالى فى الغيث ـ بجانب اختصاصه بالعلم بنزوله ـ هو اختصاص القـدرة الالهية بانزاله .. حتى وان كان فى الناس من يعرف بالتجـارب والمقاييس والأرصـاد الجوية قرب نزوله ، فهم لا يقدرون على خلق الاسـباب التى تنشـئه ، كما ان علمهم بنزوله : علم جزئى ، غير شامل ، ولا محيط ، وليس بمطابق دائما ، كما هو الحال فى علم الله تعالى بذلك ، الشامل ، المحيط ، المطابق دائما ، الذى لا يتخلف أبدا .

فالله سبحانه وتعالى وحده : هو الذى ينزل الغيث وفق حكمته تعالى ، وبالقدر الذى يريده ، وفى المكان الذى يحدده

سبحانه وتعالى ، وفى الزمان الذى يختاره ، والى الناس الذين يختصهم بذلك .

فهو الذى ينزل الغيث : أى أنه هو الذى ينشىء الأسباب الكونية التى تكونه وتنظمه ، وليس غيره بقادر على ذلك ، أو على جزء من ذلك أبدا .

(ب) واختصاص قدرة الله تعالى بذلك : من أجل نعمه ، وعظيم لطفه ، على عباده .

اذ لو أن غيره تعالى يقدر على ذلك : لهلك الناس جميعا ، اما عطشا واما غرقا ، خاصة بين بنى الانسان ، الذين ما هدأت بينهم النزاعات والخلافات والخصومات منذ جريمة القتل الأولى بينهم على هذه الأرض ، وهم يتفننون كل يوم فى ايجاد الوسائل المدمرة والاسلحة الفتاكة التى يحاربون بعضهم بعضا بها ، فلو أن انزال الماء من السماء فى مقدور الانسان : لاستغله فى يوم من الأيام سلاحا فى الحروب ضد أخيه الانسان ، سواء بالمنع عنه لدرجة قتله عطشا ، أو بانزاله عليه بمقدار يزيد عن حاجته ويهلكه غرقا ... ولصار ذلك التحكم البشرى فى انزال الماء من السماء : أخطر سلاح وأفتكه ، بل أخطر من كل سلاح تفتق عنه العقل البشرى حتى الآن .

(ج) أليس اختصاص الله بذلك : من أجل نعمه ، وعظيم لطفه على عباده ؟

بلى !! وألف بلى !! .

الثالثة (ويعلم ما فى الأرحام) .

(أ) أى عنده فقط علم ما فى الأرحام لا عند غيره .

وليس بمستبعد أن تكون الأرحام عامة فى الانسان وفى غيره من ذوات الأرواح ، فالطيور لها أرحام ، وذوات الأربع لها أرحام ، والزواحف لها أرحام ، واناث الانسان لها أرحام .

وكل هذه الأرحام يعلم الله وحده ما فيها ، على اختلاف أنواعه : وأعداده ، وأحواله ، يعلم ذلك كله فى وقت واحد ، بل يعلم ذلك كله على تجدده فى كل وقت وآن سبحانه وتعالى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾(١٠) .

وقد يعلم بعض الناس - بما أتاهم الله من علم - بعض ما فى الأرحام ، لكن علمهم لهذا البعض لا يكون الا فى حالات معينة وأوقات محددة منه .. كأن يعلم بعض العلماء ان الانثى حامل أو غير حامل قبل أن تظهر ملامح ذلك لغير المختص وذلك بواسطة التحاليل ، ويعلم بعضهم مثلا : أن وضع الجنين فى بطن أمه مقلوبا ، وذلك بواسطة الأجهزة الحديثة التى تبين ذلك وهى الاشعة أو بوضع يد الطبيب داخل رحم الأم .. أو يعلم فريق ثالث نوع الجنين أذكر هو أم أنثى وهو ما يزال فى بطن أمة و ... أو ... الى آخر هذه الأشياء التى يحاول الانسان معرفتها سواء كان بالنسبة للاجنة فى رحم الطيور أو فى رحم الحيوانات أو فى رحم الانسان ، والتى ما زال يبحث حول معرفتها كل يوم .

لكن علم الله تعالى بذلك : يفوق وصفنا القاصر ، وعلمنا العاجز ، وخيالنا المحدود .

فالله تعالى : يعلم ما فى أرحام الطيور ، على اختلاف أنواعها

---

(١٠) غافر ١٩ .

وأشكالها ، ويعلم ما فى أرحام الحيوانات جميعها ، ويعلم ما فى أرحام أمهات بنى الانسـان على اختلاف أجناسـها وتعدد أشكالها وألوانها وتباين السـنتها وتباعد أو طانها .

يعلم سبحانه وتعـالى : ماذا فى الأرحـام ؟ فى كل لحظة وفى كل طـور ، وهل يوجد حمـل أو ليس هنـاك حمـل ؟ ـ دون معامل ولا مختبرات ـ حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم ويعلم نوع هذا الحمل ، ذكرا كان أم أنثى ؟ حين لا يعلم أحد عن ذلك شيئا فى اللحظة الأولى لاتحاد الخلية والبويضـة ، ويعلم كذلك ملامح الجنين ، وخواصه ، وحالته ، واستعداداته .. ويعلم فوق ذلك : ما لا يمكن أن يخطر على الانسان التفكير فى معرفته أبدا ، وهو علمه تعالى بما سيكون عليه هذا الجنين بعد ذلك من حياة أو موت ، قبل الولادة أو بعدها ، ومن سعادة أو شقاء ، غباء أو ذكاء ، فقر أو غنى ، استقامة أو انحراف ، وهـل سـيكون شخصـا مشـهورا أو مغمـورا ؟ متواضعا **أو مغرورا ؟ .. الى آخـر هذه الصفات التى يكون عليها الجنين** بعد أن يخرج للوجود انسانا سويا .

وعلمه تعالى : فى كل ذلك ، ولكل ذلك ـ وهو يسير جدا جدا جـدا ـ ليس بالعلـم الظنى ، الناقص ، غير المسـتوعب ، ولا المستقصى ، بل هو : العلم القطعى ، الكامل ، الشامل ، المستوعب ، المستقصى .

(ب) نعود فنقول : اختص الله تعالى بعلم ذلك كله على هذا النحو ، واختصـاصه سـبحانه وتعالى به من أجل نعمـه وعظيم لطفه على عباده .

وبيان ذلك :

أن العلماء لو عرفوا كل شىء عن الجنين وهو فى رحم أمه ،

كعلم الله تعالى بذلك ، أى علموا بعض ما سيكون عليه من ذكاء أو غباء ، سيصبح ناجحا يحمل الزهو والفخر لأهله ، أو فاشلا يجلب عليهم العار ... الخ هذه الصفات والحالات الموجودة فى أفراد بنى الانسان .

أننكر أنه سيوجد بعض الناس - بل كثير منهم - يتوجهون الى الأطباء ، للتخلص من هذا الجنين الذى علموا أنه سيصبح مجرما أو فاشلا ، أو صاحب عاهة ، أو للتخلص من هذا الجنين الذى يعرف أنه أنثى عند من لا يريدون انجاب الأنثى مثلا ، ليصبح العالم - كما يريدون ، وكما يحلو لهم حينها - كله : ناجحا ، مشهورا ، غنيا ، ذكيا ، سعيدا ، ... الخ هذه الصفات المنتقاة ، والتى يفضلونها ؟ .

قبل أن ينكر أحد ذلك : أحب أن أنبه الى ما يحدث اليوم فى تخلص بعضهم من الجنين لعدم رغبتهم فى الانجاب ، بحجة رغبتهم فى تكوين أنفسهم ماديا قبل الانجاب ، أو فى تخلص بعضهم من الجنين لأى سبب آخر ، مما يعرفه المختصون .

تعالوا الآن لنتخيل ماذا يحدث على الخريطة البشرية ، لو أن الانسان علم ما فى الأرحام علم الله تعالى به ، دون أن يتحلى هذا الانسان برحمة الله تعالى وحكمته ؟

وأترك لكم حرية الخيال : فيما سيكون عليه الحال ، من انقلاب الموازين ، واختلاف المقاييس ، وتباين الأهواء ، وصيرورة العالم الى حال لا يستقيم معها الحال ، فهل يظهر

الذكى الا الغبى ؟ وهل يعرف السخى الا بوجـود البخيل ؟ وهل ندرك عز الغنى الا بمذلة الفقر ؟ وهل نشعر بنعمة الصحة الا بعد المرض ؟ انها حكمة الله تعـالى فى امتلاء الحياة الدنيا بالاضداد والمتناقضات .

(جـ) لكنى أسارع وأقول : أليس اختصاص الله تعالى بعلم ذلك من أجل نعمه وعظيم فضـله على عباده ؟

الرابعة (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ؟

لكن الله سبحانه وتعالى وحده يدرى ، وغيره أبدا بذلك لا يدرى .

والكسب : يشـمل الربح المادى وغير المادى ، فهو عبارة عن : كل ما تكسـبه النفس وتصيبه فى غدها ، ولا يعلم أحد ماذا يكسـب غدا ؟ وماذا يلاقيه من خير أو شر ، من نفع أو ضر ، من يسر أوعسر ، من صحة أو مرض ، من طاعة أو معصية ، من ‥ أو من ‥ أو من ‥ الخ ؟

وهو غيب مغلق ، اختص الله تعـالى بعلمه ووضـع على الانسـان دونه الحجب والاسـتار .

ولو لم يختص الله تعالى بعلم ذلك وحده وعرفه الانسان معه ، لتوقفت حركة الناس جميعا .

فهذا : لن يخرج غدا لعمله ؛ اتقاء حادثة عرف أنها ستحدث له .

وذاك : لن يخرج غدا لتجارته ؛ لأنه عرف أنه لن يربح فى ذلك اليوم ما يكفيه ، أو لن يربح شيئا .

وثالث : لن يخرج غدا للامتحان ؛ لأنه عرف أنه سيرسب فى هذا العام .

ورابع : لن يخرج غدا لأنه سيصـــاب فى الظهيرة بمغص كلوى حـــاد .

وآخر لن يخرج غدا لانه ...

وآخر لن يخرج غدا لانه ...

وهكذا : والأسباب كثيرة ، والأيام حبلى بكل جديد .

ومن من النـاس لا يصـيبه كل يوم شىء يعكر عليه بعض صـفوه ؟

ومن من الناس تحلو له الحياة دائما ؟ والدنيا طبعها هكذا ، ان حلت : أوحلت ، وان كست أوكست ، وان أعطت أخذت ، وان بسطت : قبضت ، وعجلتها على هذا الأســاس تدور ، والنـاس يحدوها الرجاء ويدفعها الأمل ولولا أن فى غدها الجديد الآتى ، ولولا أن ما فى الغد مجهول ومستور : ما كان لغدهـا هذا الرجاء وهذا الأمل ، وكذلك لولا هذا الرجاء وهذا الأمل : ما كان لسعى النـاس لغدها وفى غدها طعم يزين لها حب الحياة ويشجعهم على العمل .

(جـ) ألستم معى فى أن اختصاص الله تعالى بذلك من أجل نعمه وعظيم فضـله على عباده ؟

الخامسة (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) ؟

(أ) لكن الله سبحانه وحده يدرى بالزمان والمكان الذى فيه وعليه كل نفس تموت ، وغيره أبدا بذلك لا يدرى .

ومن الملاحظ : أن مــوت الانســـان مرتبط بظرفين ، أى بشيئين ، هما :

الزمان والمكان ، فهو يموت فى وقت معين وفى مكان معين .

وقد نفى الله ســبحانه وتعالى فى الآية عن الانســـان علمه بالمكان ، ولم ينف ــ صراحة ــ عنه علمه بالزمان .

فهل اختص الله تعالى وحده بالعلم بمكان موت الانســـان ، ولم يختص بالعلم بالزمان كذلك فيشــاركه به الانســـان ؟ أو أنه سبحانه وتعالى اختص بمعرفتهما معا وحده تعالى دون غيره ؟ ولماذا اذا لم يصرح بذلك فى الآية الكريمة ؟

ونقول :

من المعلوم أنه يسهل على الانســـان تحديد مكان موته ولكن يصعب عليه تحديد زمان ذلك ، سواء أكان هذا بالنسبة له أم لغــيره • ؟

ولتقريب ذلك للذهن : نضرب المثل ببعض المقعدين الذين لا يغادرون مكان اقامتهم أبــدا وكذلك أفراد بعض الشعوب التى ما تزال تسكن الكهــوف أو الشــعاب أو قمم الجبـــال ولا يعرفون أن هناك عالما غير عالمهم هذا ، وكذلك بعض أهل القرى والبوادى والنجــوع الذين لا يغادرونها أبدا ، ولا يفكرون فى ذلك نهائيا أو يحبونه .

فكثيرا من هؤلاء يعرفون مكان موتهم ، ونحن كذلك يسهل علينا بناء على معرفتنا بظروفهم هــذه معرفة مكان موتهم .

لكن ذلك لا يتيسر بالنسبة لمعرفة زمان موت المرء ، كما أنه لا يمكن لأمهر الأطباء أن يحدد ذلك بالنسبة لأى مريض حتى ولو ظهرت عليه كل علامات الموت .

ومن هذا نرى ونفهم : أن معرفة مكان موت المرء أيسر وأسهل وأمكن من معرفة زمان موته :

هذا تصورنا وفهمنا ‥ !!

لكن الحقيقة : تخالف هذا التصور وهذا الفهم ، فلا يعرف مكان موت الانسان ولا زمان ذلك الا الله سبحانه وتعالى وحده .

أما أسلوب الآية الكريمة : فقد كان على هذا النحو لتنزع منا هذا التصور والفهم بامكان معرفة الانسان لمكان موته .

وهو : تفنن فى الأسلوب ، الذى خوطب به العرب ، وهم أرباب البلاغة والفصاحة آنذاك .

ومن هنا : كان تصريح الله تعالى بحجب الأيسر والأسهل والأمكن عن علم الانسان ـ وهو معرفة المكان فقط ـ لونا من الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ، حيث أن نفى الأيسر والأسهل والأمكن معرفته ، وهو المكان : يقتضى بالضرورة نفى الأعسر والأصعب والمحال معرفته وهو الزمان .

وبعبارة أخرى : أن الله سبحانه وتعالى ، نفى عن علم الانسان ما يظن أنه قد يعرفه ؛ فانتفى بالتالى ما يعتقد أنه لا يعرفه .

(ب) لكن !! لماذا اختص الله تعالى وحده بعلم ذلك ؟

ان من يدرك لطف الله بالانسان : يعرف أن السر فى ذلك فى غاية الوضوخ واليسر .

ذلك : أن الذى يعرف مكان موته ، ونهاية أجله ، سوف لا يذهب اليه ، أعتقد أنه لن يذهب هناك الا القليل والقليل جدا ، وهى فئة معينة تذهب للموت ولو لم تعرف مكانه ، بل ان غالبية البشر لن تذهب الى هذا المكان أبدا أو على الأقل فى اللحظة المعينة المعروفة ، ولو كان هذا الأمر على هذا : لحدث بذلك تعارض شديد - وحاشا لله - بين علمه بمكان موت الانسان وقضائه فى اماتته ، وبين امتناع الانسان عن الذهاب الى هذا المكان ، وعدم رغبته فى تسليم نفسه للموت طائعا مختارا .

وأيضا : فالذى يعرف زمان موته ، سيكون لهذه اللحظة أسيرا ، وتفكيره فيها كثيرا ، فاقد الأمل ، عديم الرغبة للعمل حتى ولو كانت بعد زمن بعيد ، اذ أن كل انسان يتصرف، وكأنه سيعيش الدهر كله ، وسيمتلك الدنيا بأسرها ، ولولا جهله بيوم موته ، ما أكل ولا شرب ، ولأصبحت الطاعة جبرا ، والبعد عن المعاصى قهرا ، ولفقد نعمة الاختيار ، وفضيلة الترجيح ، ولأصبحت الحياة : بلا طعم ولا لون ولا رائحة ، الكل يعيش بلا أمل ، ويسير نحو موعد ومكان يسلم نفسه فيه للموت .

انه لون غريب من الحياة .. أجد الناس فيه - لو كان - سكارى حيارى يرتدون جميعا حلل التعاسة واليأس .

(جـ) ألا ترون معى أن اختصاص الله تعالى بعلم ذلك : من أجل نعمه وعظيم لطفه على عباده ؟

وأخيرا ، وكما رأينا : فان اختصاص الله تعالى بعلم هذه الأشياء الخمسة ، وحجبها عن علم الانسان ، من أجل نعمه ، وعظم لطفه على عباده .

أليس كذلك !!! ؟؟

علاقة الانسان بوالديه
تحت ظلال سورة الإسراء

● **تقـــــديم ٠**

فى مواضــع متعددة من القرآن الكريم كانت وصية المولى سبحانه وتعالى بالوالدين ٠

ففى الموضــع الأول : حيث يقول تعــالى (وقضــى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما .. الخ)(١) ٠

وهذا الموضع : هو أكثرها تبيانا لمعنى الوصيــية بالوالدين وأوضــحها تفصيلا لمضــون الاحسان وكيفيته ، وهو نفسه موضــوع بحثنا هذا ٠

وفى الموضــع الثانى : حيث يقول تعالى (قل تعالوا أتــل مــا حرم ربكم عليكــم ألا تشركوا بــه شــيئا وبالوالــدين احســانا .. الخ(٢) ٠

وهذا الموضع : هو أقربها لموضع الاسراء ، حيث اقترنت فيه الوصية بالوالدين ـ كما فى الاسراء ـ بالوصية بعدم الاشراك بالله تعالى ، وكذلك : سبيقت هذه الوصية فى اطار مجموعة من الوصــايا المتعددة والمتقاربة الى حــد كبير مع مجموعة وصايا الاسراء ، وثالثا : لم تنزل هــذه الوصية فى حادثة معينة ، أو لسبب خاص ، كما فى الاسراء ، بخلاف غيرها من المواضع ، كما سنرى ، ولكنها أتت بطريقة الاجمال .

---

(١) الاسراء ٢٣ ـ ٢٥ ٠

(٢) الأنعــام ١٥١ ٠

وفى الموضع الثالث : حيث يقول تعالى (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبؤكم بما كنتم تعملون)(٣) .

وهذا الموضع ـ وان كان قد نزل بخصوص سعد بن أبى وقاص ، فهو ـ لبيان أن على المرء : صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال ، ان كانا فقيرين ، وكذلك : بالقول الحسن ، والفعل الحسن ، دائما ، وسبب ذلك : أن الأم حملته وهنا على وهن ، كما أن طاعتهما : لا تراعى فى ركوب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة .

وفى الموضع الرابع : حيث يقول تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين)(٤) .

فهذا الموضع : وان كان فى رأى البعض قد نزل بخصوص حادثة سعد بن أبى وقاص .. فهو ـ كما يقول القرطبى ـ لبيان

---

(٣) لقمان ١٤ .

(٤) الأحقاف ١٥ .

اختلاف حال الانسان مع أبويه .. فقد يطيعهما ، وقد يخالفهما ، ولأن هذا متوقع منه ، فقد شدد سبحانه على الوصية بالوالدين على هذا النحو الشامل .

وفى الموضع الخامس : حيث يقول تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبؤكم بما كنتم تعملون)(٥)

فهذا الموضع .. هو ثالث المواضع التى نزل فيها القرآن الكريم للوصية بالوالدين بخصوص سعد بن أبى وقاص ، وهو كذلك للوصية بحسن معاملة الوالدين مع كفرهما . . بل مع محاولتهما أو محاولاتهما ابعاد ولدهما عن طاعة الله أو عن عبادته والايمان به .

وفى الموضع السادس : حيث يقول تعالى (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون)(٦) .

فهذا الموضع : لبيان ان الوصية بالوالدين هى مما كان فى الشرائع السابقة ، حيث ان الله تعالى أمر بنى اسرائيل قبلا ــ كما يأمر المسلمين ــ بتوحيد الله تعالى والاحسان الى الوالدين .

---

(٥) العنكبوت ٨ .

(٦) البقرة ٨٣ .

وفى الموضع السابع : حيث يقول تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)(٧) .

فهذا الموضع .. وان أتت فيه الوصية بالوالدين داخل اطار من الوصايا الربانية الغالية ، فقد أتت على سبيل الاجمال الحكيم ، دونما تعرض لنوع هذا الاحسان أو كيفيته مثلما تعرضت ـ كما سنرى ـ وصية الاسراء .

● **أهمية وصية الأسراء ٠**

ونجد ـ بعد هذا العرض السريع ـ ان موضع الاسراء هو الوحيد الذى يمكننا ان نتنسم منه عبير هذا الاحسان ونستمد منه معالمه ، ونستوضح من أريجه كيفيته تفصيلا .. بينما كان فى بقية المواضع على سبيل الاجمال .

كما وأنه يستوقفنا : تركيز هذا الموضع على الاحسان فى فترة زمنية محددة ، وفى حالة يكون عليها الوالدان معينة بينما بقية المواضع كانت الوصية تستغرق كل الأزمنة وتشمل كل الحالات ، دونما تفصيل أو تحديد .

وثالثا : فان المولى سبحانه وتعالى تكرم فى هذا الموضع على خلقه ، حيث أمتعهم بشرف خطابه المباشر لهم ، فى صورة

---

(٧) النساء ٣٦ ٠

حبيبه ومصطفاه ، دون بقية المواضع التى تعددت فيها ألوان الكلام بخصـوص هذه الوصـية وليس من بينها مـا حظى به هـذا الموضع .

وأخيرا : فان الحكيم قد قرن بين الوصـية بالوالدين وبين أمره بتوحيده تعالى فى هذا الموضع على نحو انفرد به كذلك دون جميع المواضع التى اقترن فيها ، حيث كان هـذا الاقتران بصـيغة الحكم النهائى الواجب النفاذ الملزم لمن صـدر اليه اذ يقول (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) .

● لم قرن الوصية بهما بالنهى عن الأشراك بالله تعـالى .

وانه لما يلفت النظر فى هذا المقام ان الوصـية بالوالدين قد اقترنت فى خمسة من هـذه المواضـع السبعة بالنهـى عن الاشراك بالله تعالى والامر بعبادته وتوحيده .

ليعلمنا جل ذكره أن النشأة الأولى من عند الله تعـالى كما تستوجب التوحيد ، وحسن عبادة الله تعالى ، وصدق الاقبال عليه ، فان التنشـئة الثانية ، وهى التربية التى يقوم بها الوالدان تستوجب كذلك جميل الإحسـان اليهما ، وصادق الاحترام لهما .

ولذا .. قرن الله تعالى الشكر لهما بشكره ، حيث يقول فى موضع لقمان (أن أشكـر لى ولوالديك) .

وان مجتمعنا يتربى صغيره وكبيره على هذا الاحسان الى الوالدين منذ اللحظة التى يوجده فيها خالقه ، ويدرك فضله ،

ويخشى غضبهما كما يخشى غضبه ، ويحرص على طاعتهما كما يحرص على طاعته : لهو مجتمع ترفرف عليه سحائب الرضوان ، وتأخذ بيده الملائكة ، ويحيا حياة سعيدة ٠

وليس ذلك بغريب ، اذ أن أحق الناس بعد الخالق المنان ، بالشكر والاحسان ، والالتزام بالبر والطاعة له والاذعان ، من قرن الخالق الاحسان اليه ــ على هذا النحو المتكرر الرائع ــ بعبادته ، وطاعته ، وشكره ، وهما الوالدان .. وقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام قوله « رضى الرب فى رضى الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد »(٨) .

● لم ركزت آية الاسراء على حالة الكبر ؟

وقد لاحظنا : ان وصية الاسراء دون بقية المواضع ، ركزت على حالة الكبر .

وذلك : لأن الحال قبل ذلك غير هذه الحال ، فقد كان الولد هو الذى يحتاج الى والديه ، ان لم يكن فى كفالتهما الكاملة ، وهو الذى يستشير والديه ان لم يترك لهما نهائيا تدبير أموره ، سواء أكان ذلك فى حال شبابهما وصحتهما ، أم كان ذلك فى حال يسرهما واغتنائهما .

أما فى حال فقرهما ، أو كبرهما ، أو حاجتهما اليه ، على أى نحو : فهى الحال التى تستوجب التوصية ، مخافة أن ينسى ما قدماه ، وما قاما به نحوه ، أو أن يتجاهل هذا ويتغافل عنه .

اذ انهما ــ على هذا الحال ــ يحتاجان فيها الى : بر جميع

---

(٨) رواه الترمذى ٠٠ كتاب البر والصلة ٠٠ باب ما جاء من الفضل فى رضى الوالدين ٠

الناس بهما : فأولى به ، أن يبرهما وحده ، ويكفيهما ، لتغير الحال عليهما ، بالضعف والكبر ، أو بالحاجة ، فألزم فى هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر من ذى قبل ، لأنهما فى هذه الحالة قد صارا كلا عليه ، فيحتاجان أن يلى منهما فى الكبر بعض ما كان يحتاج فى صغره أن يليا منه .

فلذلك : ركزت وصية الاسراء على هذه الحالة ، وخصصتها بالذكر .

ويقول الامام القرطبى : وأيضا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال عادة ، ويحصل الملل ويكثر الضجر ، فيظهر غضبه على والديه ، وتنتفخ لهما أوداجه ، وقد يستطيل عليهما ، بدالة البنوة ، وقلة الديانة(٩) .

ونقول : ياسبحان الله !!! أين هذا من فرحتهما به وهو صغير ، وسعادتهما به يبول ، وصبرهما عليه وهو طفل غرير أو مراهق مغرور ؟

● **حسنا .. واحسانا .**

وعندما ننتقل خطوة قريبة لبيان معنى الاحسان الى الوالدين : نجد ان الصيغ فى التعبير القرآنى فى هذه المواضع عن هذا الاحسان ، كانت على النحو التالى :

(وبالوالدين احسانا) فى أربعة مواضع .

(ووصينا الانسان بوالديه احسانا) فى موضع واحد .

---

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١٠ .

(ووصـــينا الانســـان بوالديه حسنا) فى موضع واحد .

(ووصـــينا الانســـان بوالديه) فقط ، فى موضع واحـد .

ومعنى ذلك : أن المولى ســبحانه وتعالى يأمر بالاحســـان الى الوالدين ، على جميع الصـــور ، والأوضاع ، ويحثنا على اجتناب كل ما يعد قبيحا منا ، وغير لائق فى حقهم ، وكذلك كل ما يكون منا فيه اســاءة لهم .

ولما حذف فى بعض المواضع : كان ذلك فتحا لباب الوصية بهما ، واكرامهما ، والعمل على راحتهما ، على أوســـع نطاق وأشمله وأدومه وأنفعه .

ولكن !! .

كيف يكون الاحســـان اليهما ؟

● ماهية الاحسان الى الوالدين .

وهنا نصـــل الى مقصــــودنا ، اذ نبين أن وصية الاسراء انفردت بهذا البيان الرائع الشافى ، حيث :

نظم المولى ســبحانه وتعالى العلاقة بين الولد ووالديه . أو أحدهما ، فى هذه الحالة ، على أساس أمره تعالى بالاحسان اليهما .

وقـــد بين فى هـــذه الآيات :

ان هـــذا الاحسان يقوم على نهيين وأوامر ثلاث :

ثم عقب سبحانه وتعـــالى على كل هؤلاء : بتحذيره من مخالفة ذلك وعـــدم الاحسان الى الوالدين ، ودعا الى التوبة من هذا الخطأ ، والمبادرة فى الاحسان اليهما .

(أ) فقال تعالى (فلا تقل لهما أف) . وهو النهى الأول .

وهو أقل مظاهر التضجر والاستثقال ؛ فالانسان منهى عن ان يظهر ذلك ، فضلا عما يزيد عليه ، وذلك : لأنه مأمور بأن يستعمل معهما كريم الخلق . ولين الجانب ، وقوة الاحتمال فلا يظهر لهما - اذا أضجره ما يستقذر منهما ، أو يستثقل من مؤنهما - أقل مظاهر الضجر ، وأبسط ملامح الاستثقال .

والصبر عليهما ، وحسن صحبتهما ، باب من أبواب الأجر والثواب الجزيل ، « فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه قال : أقبل رجل الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله ، قال : فهل من والديك أحد حى ؟ قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : فتبتغى الأجر من الله ؟ قال : نعم ، قال : فارجع الى والديك ، فأحسن صحبتهما »(١٠) .

ثم ينتقل سبحانه الى النهى الثانى .

(ب) فيقول تعالى (ولا تنهرهما) .

أى : اذا ما طلبا منك شيئا ، أو أبديا لك رأيا ، أو تدخلا فى بعض أعمالك ، وكان كل ذلك على نحو لا يعجبك ، فلا تزجرهما بغلظة وجفاء .

وبعد النهى الالهى عن هذين القبحين السابقين .

القول القبيح .

والفعل القبيح .

---

(١٠) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين .. الخ .

ينتقل المولى سبحانه وتعالى من الجانب السلبى الى الجانب الايجابى : حيث يأمر بالكيفية التى تليق بمعاملة الأبوين من :

القول الحسن .

والفعل الحسن(١١) .

(جـ) فيقول (وقل لهما قولا كريما) أى حسنا كما يقتضيه حسن الأدب معهما(١٢) . أى بتأدب وتوقير وتعظيم .

وهو الأمر الأول .

(د) ثم يقول تعالى (وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى ينبغى أن يجعل الانسان نفسه مع أبويه فى خير ذلة وتواضع ، فى أقواله وسكناته ونظره(١٣) .

وهو الأمر الثانى .

(هـ) ثم يقول تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

أى لا تكتف برحمتك عليهما - المفهومة من الأمرين السابقين - التى لا بقاء لها ، وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ، فقل : رب تعطف عليهما برحمتك ومغفرتك ، كما تعطفا على فى صغرى ، فرحمانى ، وربيانى صغيرا ، حتى استقللت بنفسى ، واستغنيت عنهما(١١) .

---

(١١) تفسير القاسمى ١٠/٣٩١٩ .
(١٢) أنظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/٣٤ .
(١٣) القرطبى : نفس المرجع ١٠/٢٤٣ .

وقد خص التربية بالذكر ، ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما فى التربية ، فيزيده ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما(١٣) .

وهو الأمر الثالث .

وبحسن تنفيذ العبد لهذه الأوامر الثلاث .

وحسن اجتنابه للنهيين السابقين لها .

يكون قد أحسن لوالديه ، واستحق بذلك ـ مع توحيده لله ـ رضوان الله تعالى .

فالسعيد : هو الذى يبادر باغتنام فرصة برهما ، لئلا تفوته بموتهما ، فيندم على ذلك ، والشقى من عقهما ، لاسيما من بلغه الأمر ببرهما(١٣) .

(و) ثم يعقب المولى سبحانه وتعالى على هذه الأوامر والنواهى بتذييل بليغ رائع حكيم ، اذ يقول جل ذكره (ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا) أى أن المولى سبحانه يعلم ما فى نفوسكم وضمائركم من قصد البر بهما أو عقوقهما .

وهو :

وعد منه سبحانه لمن يحسن اليهما ويبرهما .

ووعيد لمن يسىء اليهما ويعقهما أو يضمر ذلك(١١) .

أما من بدرت منه البادرة ، أو فلتت منه الذلة ، أو خرجت منه الكلمة ، الى أبويه ، أو أحدهما لا يريد بذلك الاساءة

اليهمــا ، ولا يكون البــاعث عليهــا : اضمــار الكراهيــة أو الاســـتثقال ، أو العقــوق ، فعليه أن يبــادر بالتوبة الى الله تعالى ، واسترضــائهما ، طلبا لمرضاة الله تعالى (فانه كان للأوابين غفورا) .

وقد عقب المولى بهذا القول ــ أيضــا ــ قبل أن يمضــى فى بقية التكاليف والواجبات والآداب التالية ، ليرجع اليه كل قول وكل فعل منها ، وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطىء أو يقصر ثم يرجع ، فيتوب عن الخطأ والتقصير(١٤) .

● **خاتمــــة** .

وفيها يجب ملاحظة هذه الأمور :

(أ) ان فى اقتران الأمر بالاحســان الى الوالدين بالأمــر بتوحيد الله سبحانه وتعالى ، من كمال الاهتمام بهما ، والحث على حسن رعايتهما ، والحرص على طاعتهما ، الشىء الكثير ، والتذكير الدائم بذلك .

(ب) أن الاحسان الى الوالدين : يكون ألزم ما يكون فى حال شدة احتياجهما اليه ، وهى حالة عجزهما وفقرهما ، فعلى المرء أن يرحمهما كما رحماه ، وأن يترفق بهما كما ترفقا به ، اذ ولياه صغيرا جاهلا محتاجا ، فآثراه على أنفسهما ، وسهرا ليلهما ، وجاعا وأشبعاه ، وتعريا وكسواه فلا يجزيهما الا أن يبلغا من الكبر الحد الذى كان فيه من الصغر ، فيلى منهمــا ما وليــاه منه ، ويكون لهما حينئذ فضــل التقدم ، قال عليه

---

(١٤) أنظر : سيد قطب ٢٢٢٢/١٥ .

الصلاة والسلام : « لا يجزى ولد والدا ، الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »(١٥) .

(جـ) أنه من الاحسان اليهما : أن يقوم بواجباتهما غير متضجر أو متأفف ، بل يبسط لهما جناح حنانه وعطفه ، ويتحمل منهما مثلما تحملا منه ، بل فوق ذلك يطلب لهما الرحمة والرضوان من المولى سبحانه وتعالى ، وهى منزلة صعبة لدى كثير من الأبناء ، ولكنها سامية وعظيمة الأثر .

(د) ان الانسان : مكلف بالاحسان الى والديه بكل ما يمكنه من طرق الاحسان .

لكنه فى مقام التفاضل :

نجد أن الأم هى التى تستحق النصيب الأكبر والقسط الأوفى ، فهى التى حملته وهنا على وهن ، وهى التى عانت فى وضعه ، وفى ارضاعه ، وفى تربيته ، وهى فى بعض الحالات قد تكون أحوج عادة من الأب الى الرعاية والعطف والحنان ، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام - فيما يرويه أبو هريرة - لمن سأله قائلا :

يارسول الله من أحق الناس بحسن صحبتى ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك قال : ثم من ؟ قال ثم أمك ، قال ثم من ؟ قال : ثم أبوك(١٦) .

(هـ) أنه من تمام الاحسان اليهما : صلة أهل ودهما ،

---

(١٥) أنظر القرطبى ١٠/٢٩٤ .

(١٦) رواه البخارى ، كتاب الأدب ، باب « من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ » .

ورواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين .

فقد قال عليه الصلاة والسلام « ان من أبر البر : صـلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » (١٧) .

(و) ان على الانسان : أن يبادر دائما الى مرضاتهما ، والى ترضيتها اذا ما غضبا منه ، والى صفحهما اذا بدرت منه لهما أقل وأبسط بادرة ، وأن يتوب الى الله تعالى مما حدث منه لهما .

والا .. فقـد :

« رغم أنفه ، رغم أنفه » .

قيل : من يارسول الله ؟

قال : من أدرك والديه عند الكبر ، أحدهما ، أو كليهما ، ثم لم يدخل الجنة(١٨) .

---

(١٧) رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما .

(١٨) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها .

صلة الأرحام
وضرورتها للمجتمع المسلمين



● تقـــديم *

صلة الأرحام ، ومودة الأقارب والسـؤال عنهم ، ومساعدة ضـعيفهم ، ومـد يـد العون الى محتـاجهم ، ومشـاركتهم أفراحهم ، ومقاسمتهم أحزانهم ، والتواصل الدائم بينهم .. كل ذلك : مما يهدف اليه التشريع الاسلامى ، رغبة فى تقوية أتباعه وتماسـكهم ، وتناصرهم وتآزرهم فى مواجهة هموم الدنيا وملمات الحياة ، أملا فى سـيادتهم وعلوهم فى الأرض ، وحسن اسـتخلافهم لله سـبحانة وتعالى عليها .

واذا تماسكت الأسرة وترابط أفرادها ، وقويت شوكتها ، وكـذلك غيرها ، تماسـك بالتالى أفراد المجتمع الاسـلامى جميعهم ، الذين هم فى الأصـل ـ وكمـا ينبغى أن يكون ـ أسرة واحـدة (ياأيهـا الناس انـا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا)(١) .

وما دام البشر جميعا من أب واحد هو آدم ومن أم وأحدة هى حواء : فالكل على هـذا مهما تعددت الشعوب وتباينت الجنسيات اخوة بعضهم لبعض ، وهذا هو ما ينبغى أن يكون .

ولكن : لما تخالفت المشارب ، وتفارق الناس الى عصـاة ومطيعين .. اقتصرت الأخوة بين من بقى على ذكرها ، وهم المطيعون لله تعالى (انما المؤمنون اخوة)(١) .

والترابط بين أفراد الأسرة الواحـدة ، وكذلك الترابط

(*) نشر هذا البحث : بمجلة « الوعى الاسلامى » ، التى تصدر بدولة « الكويت » العدد رقم ٢٢٧ فى ذى القعدة ١٤٠٣ هـ الموافق : أغسطس ١٩٨٣ م .

(١) الحجرات الآية رقم ١٣ ، رقم ١٠ .

بين الأسر : هو من أقرب الطرق الى تقوية جانب المؤمنين وتعزيزهم بين صفوف البشر ، أيا كانت الجنسيات ، ومتى كان الزمان !! ؟؟

وهذا هو ما يحرص ـ ويحث ـ عليه التشريع الاسلامى ، ويهدف اليه ٠

وكذلك كانت كل الشرائع السماوية السابقة ٠

قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى)(٢) ٠

وقال تعالى (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون)(٣) ٠

وفى السطور التالية : يظهر لنا مدى اهتمام المشرع بهذا الموضوع ٠

● صلة الأرحام من مكارم الأخلاق ٠

ولم يوص الاسلام بشىء يتنافى وفطرة الانسان الصافية التى خلقه الله عليها ، ولم يجعل من التقوى شيئا تأباه النفوس ، ويتنافى مع كريم الاخلاق ٠

وصلة الأرحام وترابط الأقارب : من مكارم الاخلاق قبل كل شىء ، ولن يضيع كريم الخلق أو يخذل ٠٠

ولذلك :

---

(٢) سورة الشورى الآية رقم ١٣ ٠

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ ٠

أقسمت أم المؤمنين خديجة لزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ، بأن الله لن يخزيه أو يخذ له بسببها حين أتاها خائفا يوم بدء نزول الوحى عليه ، حيث قالت له ـ صلى الله عليه وسلم : فيما ترويه لنا عنها أم المؤمنين عائشة ـ والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضعيف ، وتعين على نوائب الحق(٤) .

ونرى الشاعر العربى يذم من لا يصل رحمه فيقول(٥) :

من الناس من يغشى الأباعد نفعه

ويشقى به حتى الممات أقاربه

ويذمه آخر فيقول :

وما خير من لا ينفع الأهل عيشه

وأن مات لم تجزع عليه أقاربه .

● صلة الأرحام من البر والتقوى .

فى بداية حديثنا نرى الاسلام يركز على أن صلة الأرحام ، وترابط الأقارب : من علامات التقوى وسمات المتقين وهى من البر والصدق فى الايمان ، حيث يقول تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا

---

(٤) رواه : البخارى .. كتاب بدى الوحى .

(٥) انظر : محاضرات الأدباء ٣٥٩/١ .

عاهدوا والصابرين فى البأســاء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)(٦) .

● **التحــذير من قطيعة الأرحـــام .**

ومن هنــا : ولمنافاته لمكــارم الاخلاق ، ولتصــادمه مع مبادىء الاسلام ، ولاضعافه للروابط بين المسلمين .

فقد حذر الاسلام : من قطيعة الرحم ، وعداء الأقارب بعضهم لبعض .

حيث يقول سبحانه وتعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها زوجها ، وبث منهمــا رجالا كثيرا ونســاء واتقوا الله الذى تســاءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)(٧) أى اتقوا الله بطــاعته ، واتقــوا الأرحام أن تقطعوها ، ولكن : بروها وصلوها .

وفى الحديث :

عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصــلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله »(٨) أى من وصــلنى ببره وصله الله برحمته ومن قطعنى عن بره قطعه الله عن رحمته .

وعن أبى هريرة(٨) رضى الله عنه قال : قال رســول الله

---

(٦) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧ .

(٧) النساء الآية رقم ١ .

(٨) رواه مسلم : كتاب البر ، باب صلة الرحم .

صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم ..
قامت الرحم ، فقالت : هـذا مقام العـائذ بك من القطعية ؟
قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟
قالت : بلى ، قال : فذاك لك » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقروءوا ان شئتم (فهل عسـيتم ان توليتم أن تفسـدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصـمهم وأعمى أبصـارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(٩) .

وكذلك :

قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم « لا يدخل الجنـة قاطع رحم »(٨) .

ولكن :

● **كيف تكون صـلة الأرحـام ؟**

وجواب هذا السؤال : مما تتعدد الاجابات عنه ، حسب تنوع الظروف وعادات الأسر وقـدرات الأفراد ، وهو فى نفس الوقت مما يعرف كل فرد جوابه اذا أراد أن يرضى ربه باسـتفتاء قلبه .

ومع ذلك :

فهناك أشـياء توضح الخطوط الرئيسية لمن أراد أن يصل رحمه ويرضى ربه ..

منها :

---

(٩) سورة محمد الآية رقم ٢٢ .

(أ) السؤال عنهم ، والاهتمام بهم ، والتعرف على أحوالهم وحب الخير لهم ، والابتهاج لفرحهم ، والتخفيف عنهم فى متاعبهم ، ويستوى فى ذلك الفقير والغنى .

ومن كلام على كرم الله وجهه : « اكرم عشيرتك ، فانهم جناحك الذى به تطير ، فانك بهم تصول ، وبهم تطول ، وهم العدة عند الشدة .. أكرم كريمهم ، وعد سقيمهم ، وأشركهم فى أمورك ، ويسر عن معسرهم »(١٠) .

ويقال : حق الأقارب : اعظام الأصغر للأكبر ، وحنو الأكبر على الأصغر(١٠) .

ويقال : القرابة تحتاج الى المودة ، والمودة تستغنى عن القرابة(٥) .

(ب) مساعدتهم بشتى صنوف المساعدة ، اذا كانوا فى حاجة الى مساعدتك ، أيا كانت المساعدة ، مادية كانت أم معنوية .

وكان يقال : اذا كان لك قريب ، فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته(١٠) .

(جـ) بالتصدق عليهم :

يقول الله تبارك وتعالى : « فى سورة النحل المكية (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

---

(١٠) الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ٢/١٣ .

والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »)(١١) .

وفى سورة الاسراء المكية (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا)(١٢) .

وفى سورة الروم المكية (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون)(١٣) .

وفى سورة البقرة المدنية (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم)(١٤) .

وفى الحديث الشريف :

عن النبى صلى الله عليه وسلم « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شىء فلأهلك ، فان فضل عن أهلك شىء فلذى قرابتك ، فان فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا »(١٥) .

يقول الراوى : فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك .

وعن أنس بن مالك أنه قال : كان أبو طلحة أكبر أنصارى

---

(١١) الآية رقم ٩٠ .
(١٢) الايات ٢٦ ـ ٢٨ .
(١٣) الآية رقم ٣٨ .
(١٤) الآية رقم ٢١٥ .
(١٥) رواه مسلم : كتاب الزكاة ـ باب الابتداء فى النفقة بالنفس ... . الـخ .

بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله اليه بيرحى(١٦) وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآيه (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)(١٧) قام أبو طلحة : الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يقول فى كتابه (تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالى الى بيرحى ، وانها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ !! ذلك مال رابح ... ذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلت فيها ، وأنى أرى أن تجعلها فى الأقربين .. فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه »(١٨) .

ويلاحظ :

(أ) أن الأمر بالتصدق على الأقارب فى ما ذكرنا : وارد بما يفيد التجدد والحدوث وارادة الاستمرار .

(ب) أن المشرع لم يفرق بين المحتاج من الأقارب وغير المحتاج بل أمر بالتصدق على الأقارب مطلقا .

(جـ) أن الصدقة على الفقير صدقة .. وعلى القريب

---

(١٦) وهى اسم مال وموضع بالمدينة ـ انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر مادة برح ١/١١٤ وهى بفتح الباء بعدها سكون ، ثم راء مفتوحة .

(١٧) آل عمران من الآية ٩٢ .

(١٨) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

صدقتان ، قال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة على المسكين صدقة وهى على ذى الرحم ثنتان »(١٩) .

● النتـائج المترتبة على صـلة الرحـم ٠

وان أمرا هـذا شـأنه ، وتلك مكانته ، من الضرورى أن تكون النتائج المترتبة على المحافظة عليه جد عظيمة .. ومنهـا :

(أ) سعة الرزق وطول العمر :

عن أنس بن مالك : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأله فى أثره ، فليصل رحمه »(٨) .

وقال أعرابى : صـلة الرحم منسأة فى العمر ، مرضـاة للرب ، محبة فى الأهل(٢٠) .

(ب) ترابط المسـلمين وتقويهم على أعدائهم :

وفى الحكم يقال : الصلة بقاء ، والقطيعة فناء(٢٠) .

ويقول الشاعر حثا على الترابط وذما للقطيعة(٢٠) :

اذا ما أراد الله ذل قبيلة رماهم بتشتيت الهوى والتخاذل

ومن هنا : حث الاسلام على صلة الأرحام ، وحذر من القطيعة بين الأقارب .

اذ أن ترابط المسـلمين وتقويهـم : من أسـمى أهـداف الجماعة الاسلامية ، حيث يمكنهم ذلك من اعلاء كلمة الحق ،

---

(١٩) رواه الترمذى وقال : حديث حسن كتاب الزكاة باب ما جاء فى الصدقة على ذى القربى ٠

(٢٠) محاضرات الأدباء ٣٥٧/١ ٠

ونصرة دين الله ونشر خيره على كل الجماعة البشرية ، التى هى فى الأصل من أب واحد وأم واحدة (يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

(جـ) دخول الجنة والنجاة من النار :

يقول الله تعالى (الم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو اطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصو بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة)(٢١) أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم(٢٢) ، يوم القيامة ، (ومن أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى أهله مسرورا)(٢٣) .

وفى الحديث الشريف :

« يقول النبى صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال »(٢٤) .

وعن أبى أيوب قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة ، ويباعدنى

---

(٢١) سورة البلد ٨ ـ ١٨ .
(٢٢) تفسير القرطبى ٢٠/٧١ .
(٢٣) الانشقاق ٧ ـ ٩ .
(٢٤) رواه مسلم كتاب الجنة باب صفة أهل الجنة .

من النار ، قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل ذا رحمك » ..

فلما أدبر .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان تمسك بما أمر به دخل الجنة »(٢٥) .

وقال جعفر بن محمد : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة .. ثم تلا قوله تعالى (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)(٢٦) .

وهى آثار لو نعلمها نحن أصحاب الأسر المفككة ، والروابط الممزقة ، جد عظيمة ، والوصول اليها ليس بالمستحيل علينا ، بل هى من القطوف الدانية الينا ، لو حاولنا .. !!

● **خاتمة** .

بعد هذا البيان الواضح ، والتأكيد الجازم على صلة الأرحام والمودة فى القربى .. !

أقول : قد يرد القول الشائع ، الأقارب كالعقارب .

ومن هذا الباب أيضا ، يقال(٢٠) :

الأب رب ، والعم غم ، والأخ فخ ، والولد كمد ، والأقارب عقارب .

ويقول الشاعر :

ان الأقارب كالعقارب   أو أشد من العقارب

---

(٢٥) رواه مسلم : كتاب الايمان ، باب بيان الايمان الذى يدخل به الجنة
(٢٦) الرعد ٢١ .

ويقول آخر :

يقولون عز فى الأقارب ان دنت وما العز الا ف فراق الأقارب
تراهم جميعا بين حاسـد نعمة وبين أخى بغض وآخر عائب

ويقول رابع :

ولقـــد يكـون لك الغـــر يب أخـــا ويقطعـك القـــريب

أقـول :

الجواب على هـذه الأقوال الشـائعة : أنها صـادقة ، بل واقعة فى مجتمع اليوم والأمس والغد ، ولا مناص من الأعتراف بذلك ، ولكن ليست على عموم بعضها كما نلاحظ ، بل أقول تصدق على بعض الأقارب ، وهذا البعض ـ والحمد لله ـ قليل بالنسـبة لعموم الناس ، وليس هـذا بغريب فى دنيـانا ، ولا بشـذوذ فى هذه الحياة ، خاصـة وأنه لا يوجد الخير كله ولا يتغلب الشر جميعه فى هذه الحياة الدنيا ، وفى نفس الوقت لا يسـتثير ذلك منا الفزع ، ولا الكفران بوصـايا السـماء ما دام التوفيق بين هذه الوصـايا وهذا الواقع ممكنا ، وفى صالح المجتمع الأنسانى ، على النحو الذى يقدمه لنا التشريع الاسلامى .

ففى الحديث الشريف :

عن أبى هريرة : أن رجلا قال يارسـول الله ، ان لى قرابة أصـلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنمـا تسفهم المل(٢٧) ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »(٢٨) .

---

(٢٧) المال ،والملل : الرماد الحـار .. أنظر : النهاية ، مادة « ملل » .

وهكذا : ينقلب الشر خيرا ، وتصبح صلة من قطع ، والاحسان الى المسىء منهم ، والحلم على من يجهل ، بابا من أبواب الثواب ، ومنهلا من ينابيع الخير ، التى يكفر الانسان بها عن سيآته ،ويزيد بالتزامه بمنهج الله فيها فى رصيد حسناته .

وهذا أبو بكر رضى الله عنه : عندما يفترى على كريمته ، بما يطعن فى شرفه ، كما هو المشهور فى حادثة الافك ، التى تهتز لها كل الأوساط الاجتماعية ، ويساعد فى اشعال نيران هذه الفتنة (المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة) .

وكان من بين هؤلاء : ابن بنت خالة أبى بكر نفسه ، وهو مسطح بن أثاثه ، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره ولقرابته منه .

فلما حكمت السماءببراءة السيدة عائشة ، وأعلن ذلك للناس فى قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات العشر من سورة النور(٢٨) .

قال أبو بكر : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذى قاله لعائشة . !!

ولما كان مسطح من أقارب أبى بكر .. ! !

ولما كان الزمن زمان التشريع .. !!

ولما كان حرص المشرع على تقوية الروابط ، وتوثيق الصلات بين أتباع هذا الدين الجديد الخالد .. !!

---

(٢٨) الآيات ١١ ـ ٢١ .

ولما كان فصـم عرى القرابــة ، وتوهين أواصر الأسرة الواحــدة ، هو الفصــم الحقيقى لعرى العلاقات الأسرية مع بعضــها بعضــا ، وهو الفصــم الحقيقى ـ بالتالى ـ لعرى الانسانية جميعها ، وهو التمزيق الحقيقى لأواصر الأسر ، وهو ـ بالتــالى ـ التمـزيق الحقيقى للأواصر الانســانيــة جميعها .. ! !

لمــا كان كل ذلك ... !!!

فقد ســارع المشرع الى رأب هذا الصدع ، والوقوف أمام هذا الخطر ، بتغليب جانب الخير على جانب الشر فى الانسان ، بالهاب حماسه الى العفو والصفح بدل الانتقام والحقد .

حيث قال سبحانه وتعالى : الرحمن ، الرحيم ، الحكيم ، العليم (ولا يأتل(٢٩) أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهــاجرين فى سبيل الله وليعفــوا وليصفحوا)(٣٠) .

وهكذا : يتضح حل هذا الموضوع ، القديم الجديد ، وهو خصام الأقارب ، وعداواتهم ، وكراهة بعضهم الخير للبعض الآخر منهم .

بنهى الســماء عن القطعية .

وتغليب جانب الفضــل على جانب العدل .

وتفضــيل الخير على الشر .

---

(٢٩) ولا يحلف .

(٣٠) النـــور ٢٢ .

والحث على العفو والصفح بدل العقاب والانتقام .

وكانت الآية بأسلوب « يتناول الأمة الى يوم القيامة ، ناهية ألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر »(٣١) .

وتنتهى الآية الكريمة السابقة : بهذا التمثيل الواضح ، وهذه الحجة الملزمة لكل من تحدثه نفسه بعدم الاحسان الى من يسىء اليه من أهله ، أو بعدم صلة من يقاطعه من أقاربه .

حيث يقول تعالى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)(٣٠) .

أى : كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم ، فكذلك اغفروا لمن بينكم وبينهم شحناء ، ومخاصمات لجناية اقترفوها فى حقكم ، أو اساءة قابلوا بهااحسانكم اليهم .

ولذلك : « قال أبو بكر - فيما يرويه ابن اسحاق - بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى ، وأعاد الى مسطح نفقته التى كان ينفقها عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا »(٣٢) .

وهكذا : نتمثل بعفو الله عنا مع كثرة ذنوبنا ، فنعفوا عن اساءة بعض أقاربهم الينا ، وهى بالقطع قليلة ، بالقياس الى خطايانا التى نرجوا لها الصفح والغفران .

ومن المؤكد : أن يحيل الصفح والتسامح كثيرا من الأقارب المخطئين فى حقنا الى معتذرين الينا ومحبين لنا .

---

(٣١) القرطبى المرجع السابق ٢٠٧/١٢ .

(٣٢) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثاني ص ٣٠٤ .

ومن لم يحله الصفح والتسامح الى ذلك : فيكفى أن يكون الله لنا ظهيرا عليه ، ونصيرا معنا فى احساننا ضد اساءته - وهى قلة قليلة جدا فى طبعها شذوذ ونكران - ومع ذلك : لا يوافق المشرع على أن نقابل اساءتهم باساءة ، وقطيعتهم بقطيعة .

أما الكثرة والغالبية : فسوف يسود بينها الود ، والتواصل ، وتظللها القوة والتماسك .

وبالتالى : يسرى ذلك فى مفاصل المجتمع كله ، وتتوجه المهابه ، وتزينه العزة ، وتعلو رايته ، وتسمع كلمته ، ويسود فكره ، وينتشر خيره ، ويستحق أن يوصف بصدق بقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(٣٣) . ويكتسب صفة من مقومات الزعامة والقيادة ، التى يعده المولى سبحانه وتعالى لها ، ويطالبه بها ، ويحاسبه على ضياعها منه ، وصيرورتها الى من هو أدنى منه من باقى المجتمعات ، وشعوب العالم .

ألا تحبون أيها السادة أن يغفر الله لكم . !!

اغفروا اذا للمسيئين اليكم من أقربائكم .

وصلوا أرحامكم .

فقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل : الذى اذا انقطعت رحمه وصلها)(٣٤)

يغفر الله لى ولكم ... آمين .

---

(٣٣) آل عمران ١١٠ .

(٣٤) رواه البخارى . كتاب الأداب : باب ليس الواصل بالمكافىء .

ترشيد الإنفاق في الإسلام

- تقـــديم •
- دعامتـــان أســـاسيتان •
- الطريقة المثلى للانفــاق •
- النتـــائج •



● تقـــــديم (*) .

من الأمور الهامة والأساسية فى حياة الأمم والشـعوب والتى تكون عاملا هاما من عوامل قوتها ونهضتها أو ضعفها وتأخرها ، الجانب الاقتصادى .

ومن الأمور الهامة والأساسية فى بناء الجانب الاقتصادى ـ كذلك ـ قوة أو ضعفا : طريقة الانفاق التى يتبعها أبنـاء هذه الأمة أو تلك ، حكومة أو شعبا أغنياء كانوا أم فقراء .

ولهذه الأهمية لم يغفل النظـام الاسـلامى بيان طريقة الانفاق التى يجب أن يتبعها أتباعه ، حكومة وشعبا ، آملا لهم بذلك : قوة فى الجانب الاقتصادى ، واستقرارا ورغدا فى حياتهم ومعاشهم ، وتوصلا بهم الى حسن استخلافهم على هذه الأرض .

* * *

ولأهمية ترشيد الانفاق ! فقد سارع النظام الاسلامى الى بيان طريقة الانفاق المثلى .. اهتماما بها ، وتأسيسا وتأصيلا لها ، منذ فجر هذا الدين الجديد الخالد ، وتعليما لأتباع هذه الشريعة : أن الجانب الاقتصـادى ينبغى أن يحظى منهم ، تخطيطـا وتنفيذا ، حكومات وشـعوبا ، بالنصيب الأوفر ، حصولا على الأمن والأمان الداخلى ، وكذلك الرخاء للشـعوب المسـلمة ، ونيلا للمهابة وعزة الجانب أمـام غيرهم من باقى الأمم والشعوب ، واشعارا لهم أن حسن عبادتهم لله تعالى يتصل

(*) نشر هذا البحث بمجلة « المجلة العربية » التى تصـدر فى المملكة العربية السعودية العدد رقم ٦٧ السنة السابعة الصادر فى شعبان ١٤٠٣ هـ الموافق يونية ١٩٨٣ م .

اتصالا وثيقا ويرتبط ارتباطا قويا بقوة الجانب الاقتصادى لديهم .

يظهر ذلك بوضوح وايجاز فى قوله تعالى بسورة الاسراء المكية (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)(١) .

مبدأ واضح ، ونظرية بسيطة : يوضح المولى سبحانه وتعالى للانسان فيها ـ وبها ـ طريقة الانفاق المثلى ، التى يحب له أن ينتهجها ويسير عليها فى حياته ، حتى تحقق لـه المعيشـة الرغدة ، وتمكنه من تحقيق كل أغراضـه وآمـاله المشروعة ، وتهىء له كل أسباب الراحة والسعادة ، وتعينه على تربية أبنائه تربية صالحة ، وتخلق منه ومنهم أعضاء نافعين ولبنات طيبة صالحة فى مجتمع المسلمين .

والتى تجنبه الحسرة والندامة ، وتحميه من غضب الله سبحانه وتعالى ، ومن ملامة الناس وشماتتهم فيه وبعدهم عنه ، وبغضهم له .

بسبب بخله واكتنازه للمال ، وعدم الانفاق منه على نفسه أو على من يستحق ذلك من أهله ، أو فى سبيل الله كذلك .

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى

---

(١) الاسراء ٢٩ ، ٣٠ .

بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)(٢) .

أو بسبب الاسراف فى انفاقه ، لدرجة الضياع والخسارة والتبذير المنهى عنه .

فى قوله تعالى (ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)(٣) .

● **دعامتان أســـاسيتان .**

وعلى ذلك : فطريقة الانفاق المثلى وفق ترشيد النظـام الاســلامى للانفاق ، كما يفهم من الآية الكريمة ، تقوم على دعامتين فى كل منهما نهى للانسان عن شىء يضره ويؤذيه .

الأولى : البخل ، بمقتضى قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئا من ذوى القــربى الذى يتعين عليك نفقتهـم أو تجب عليك صلتهم والاحسان اليهم وكذلك المساكين وأبناء السبيل وغيرهم ممن يكون فى حاجة لنفقتك سواء كانوا من أصحاب الحقوق فى مالك أو على نفسك أو من غيرهم(٤) .

وقولــه تعــالى (ومن يوق شح نفســه فأولئك هــم المفلحون)(٥) .

---

(٢) التوبة ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) الاسراء ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) أنظر : ابن كثير .. المرجع السابق ٣٧/٣ .
(٥) الحشر ٩ ، التغابن ١٦ .

وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)(٦) .

وقوله تعالى فى معرض الذم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله)(٧) .

وكل ذلك : لأن البخل يدفع صاحبه الى الاحجام بدل الاقدام ، الى العزلة بدل المشاركة ، الى الخوف بدل الشجاعة ، الى السلبية بدل الايجابية .

ومن هنا ندرك : سر تصوير القرآن الكريم للبخل بأنه « يدا مغلولة الى العنق »(٨) .

وندرك ثانيا : سر تصوير النبى صلى الله عليه وسلم للبخيل والمتصدق « كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تَراقيهما ، فأما المنفق : فلا ينفق الا سبغت - أو وفرت - على جلده ، حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل : فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع »(٩) .

وندرك ثالثا : السر فى اهتمام السنة النبوية المتواصل بالحث على البذل والعطاء ، والمسارعة الى الانفاق ، والتحذير من الشح والبخل والامساك .

---

(٦) آل عمران ١٨ .
(٧) النساء ٣٧ .
(٨) أنظر : فى ظلال القرآن ٤/٢٢٢٣ .
(٩) رواه البخارى : كتاب الزكاة باب : مثل المتصدق والبخيل .

حيث يقول النبى عليه الصلاة والسلام « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما ، اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا »(١٠) .

ونهيه عليه الصلاة والسلام عن البخل بقوله « اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا »(١١) .

وندرك رابعا : السر فى تقبيح البخل والتنفير منه وذم صاحبه .

حيث يقول الشاعر :

ومن كان ذا مال فيبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمم

وفيما تقوله أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، حيث تقول :

أف للبخيل .. ! لو كان البخل قميصا ما لبسته ، ولو كان طريقا ما سلكته .

ويروى : أنه اجتمع حكيم الهند وفيلسوف الروم مرة :

فقال حكيم الهند : خير الناس : من كان سخيا ، وعند الغضب وقورا ، وفى القول متأنيا ، وفى الرفعة متواضعا ، وعلى كل ذى رحم مشفقا .

---

(١٠) رواه البخارى : كتاب الزكاة باب قول الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) .

(١١) رواه أبو داود : كتاب الزكاة باب : فى الشح .

وقال فيلسوف الروم : من كان بخيلا : ورث عدوه ماله ، ومن قل شكره ، لم ينل النجح ، وأهل الكذب : مذمومون ، وأهل النميمة : يموتون فقراء ، ومن لم يرحم : سلط عليه من لا يرحمه(١٢) .

الثانية : الاسراف بمقتضى قوله تعالى (ولا تبسطها كل البسط) أى : ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك ، وتخرج أكثر من دخلك ، سواء كان هذا الاسراف فى مصروفاتك الشخصية ، أو فى تنفيذ مطالب أسرتك أو فى الانفاق على من سبق ذكرهم أو على بعضهم .

وذلك لأن الاسراف نوع من التهور والتسرع وعدم البصر بعواقب الأمور وقد يكون دليلا على الاستهتار وعدم الحكمة فى تحمل المسئولية وكل ذلك بل بعض ذلك يؤدى الى وخيم العواقب ، وسىء النتائج .

ومن هنا : ندرك السر فى تقبيح الاسراف وذم صاحبه .

ومن هنا أيضا : ندرك سر تصوير القرآن الكريم للاسراف بأنه « يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا »(٨) .

وندرك كذلك : السر فى اهتمام السنة النبوية المتواصل بالحث على الانضباط والاعتدال فى الانفاق والتحذير من الاسراف والتبذير .

وقد جعلت السنة هذا الاعتدال جزء من أجزاء النبوة ، فقد

---

(١٢) الامام الغزالى احياء علوم الدين ٣١٧/٣ بتصرف يسير » .

قال عليه الصلاة والسلام « ان الهدى الصالح ، والسمت الصالح ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزء من النبوة »(١٣) .

والاقتصاد هنا : هو الاعتدال فى كل شىء ، ومن ذلك : الاعتدال فى الانفاق .

وكان ذلك : حتى لا يؤدى الاسراف بالمرء الى اهلاك أهله ، وبالتالى ، يؤدى الاسراف اذا عم الى اهلاك الأمة كلها .

عن سعد بن أبى وقاص قال « عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، من وجع أشفيت منه على الموت فقلت يارسول الله ، بلغنى ما ترى من الوجع ، وأنا ذو مال ، ولا يرثنى الا ابنة لى واحدة ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : لا ، قال : قلت : أفأتصدق بشطره ؟ قال : لا ، الثلث والثلث كثير ، انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)(١٣) .

وهذا كما رأيت فى الخير ، ومع ذلك أباه النبى صلى الله عليه وسلم حرصا على حماية أفراد المسلمين من الفقر والعوز .

فما بالنا لو كان الاسراف فى غير هذا الوجه : فالنظام الاسلامى حريص أشد الحرص على التنفير منه ، والتحذير من مغبته ، على الأفراد ، وكذلك على الأمة .

---

(١٣) رواه أبو داود كتاب الأدب باب فى الوقار .

(١٤) رواه مسلم كتاب الوصيه باب الوصية بالثلث .

وأخـيرا ..

ندرك سر التصـوير القرآنى لنهاية الحـالتين ـ البخل والاسراف ـ بقعدة ـ من صاحبهما ـ كقعدة الملوم المحسور ، فى قوله تعالى للبخيل والمسرف بعد النهى عن هذا وذلك فى سورة الاسراء (فتقعد ملوما محسورا) ، والحسير فى اللغة : الدابـة تعجز عن السير فتقف ضعفا وعجزا ، فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف ، وكذلك المسرف : ينتهى به اسرافه الى وقفـة الحسير ، ملوما فى الحالتين ، على البخيل وعلى السرف(٨) . والملامة للبخيل والمسرف : تكون من المولى سبحانه وتعالى ، وتكون كذلك من الخلق .

● **الطريقـة المثلى** .

والى هنا : نكون بين نهيين ـ عن افراط وعن تفريط ـ دون أن تصرح لنا هذه الآيات بالطريقة المثلى بعد النهى عن هاتين الطريقتين المذمومتين .

فهل يترك النظام الاسلامى ذلك لفهم الانسان دونما ترشيد أكثر ، يزيد الأمر توضيحا وتأكيدا ـ رغبة فى حسن الامتثال ، وسرعة الاستجابة وسلامة التنفيذ ـ فى غير هذا الموضـع من القرآن الكريم ؟

لا .. لا .. بل يعاود القرآن الكريم ـ لحرص النظـام الاسلامى على سلامة الجانب الاقتصادى وقوته لدى أتباعه ـ الحديث عن طريقة الانفاق المثلى بشىء من التفصيل ومزيد

من الترشيد والتوضيح والتصريح عند وصفه بحميد الصفات وكريم العادات لعباد الرحمن .

حيث يقول سبحانه وتعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)(١٥) أى : كان سلوكهم فى الانفاق معتدلا ، لا يميل الى الاسراف والتبذير ، ولا الى البخل والتقتير .

وعلى هذا .. فطريقة الانفاق المثلى فى هذه الآيات الكريمة تقوم على :

- ألا يفرط الانسان ، حتى يضيع حقا ، أو عيالا ، أو نحو ذلك .

- وألا يضيق أيضا ويقتر : حتى يجيع العيال ، ويمنع نعم الله ويفرط فى الشح .

- وأن يعتدل فى انفاقه : والاعتدال ، وهو التصرف الحسن والسلوك المطلوب : فى كل واحد بحسب حاله وعياله ، وخفة ظهره وجلده على الكسب ، أى أن ذلك مسألة نسبية ، يدرك صوابها واعتدالها كل شخص بنفسه ، وعموما : فخير الأمور أوسطها كما يقولون .

---

(١٥) الفرقان ٦٣ - ٦٧ .

ولما كان النهى الالهى عن البخل وعن الاسراف ، والأمر بالتوسط والاعتدال ، واجب الاتباع والامتثال ، حماية لاقتصاد الأمة وتقوية لجانبها المادى الذى هو طريق قوتها فى كثير من الأمور وكان ذلك لصالح المسلم ، بل لصالح مجتمع المسلمين .

فقد عقب المولى سبحانه وتعالى ـ بعد الحديث عن طريقة الانفاق المثلى فى آيات سورة الاسراء المكية ـ بموجبات الاذعان لله تعالى فيما أمر به ونهى عنه ، والخضـوع اليه بالرضـا والتسليم والاقتناع التام بأفضلية ذلك الذى شرع وسلامته وصحته دون ما سواه ، وكذلك المسارعة الفورية فى اتباع ذلك وتنفيذه .

حيث بين تعالى : أن الرازق هو الله وهو الذى يبسط فى الرزق ويوسـع ، وهو الذى يقدر فى الرزق ويضـيق ، وأن معطى الرزق ـ فى حالتيه ـ هو الآمر بالطريقة المثلى فى الانفاق ، وهى التوسط .

اذ قالَ (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) .

أى يبسط الرزق لمن يشاء من الأفراد أو من الأمم عن خبرة وبصر ، ويقدر الرزق ويضيقه على من يشاء من الأفراد أو من الأمم عن خبرة ـ كذلك ـ وبصر .

ويأمر ـ الأفراد والأمم ـ بالقصد والاعتدال فى الانفاق وينهى عن البخل والسرف ، وهو الخبير البصير بالأفراد والأمم فى جميع الأحوال .

● النتـــائج ·

ختـــاما :

نرى أن طريقة الانفاق المثلى كما يوضحها ويرشد اليها النظام الاسلامى تحقق :

١ ـ للأفـراد والأسر . الاســتقرار المـالى ف معيشـتها والاحتفاظ بمســتوى مادى متناسب مع ظروفها وأوضــاعها المختلفة والتى قد تتغير الى الأسوأ ـ أحيانا ـ فيكون لهـا من رصيد الانفاق المثالى السابق ما يحميها من المتاعب والتردى ف نتائج الاسراف الذى يأتى على الأخضر واليابس .

وكذلك : يحـقق لهـا تـوازنا متناسـبا مـع ظروفهـا وأوضاعها فلا يحرم أفرادها بسبب البخل من التمتع بطيبات الحياة المباحة ولا يدفع بهم الى الحقد على من أنعم الله عليهم بنعمه الوفيرة .

كما يعد ـ ثالثا ـ أسلوبا يحتذيه الأفراد ف أمورهم الأخرى فلا تفريط هنا ولا افراط هناك ، بل الاعتدال ف كل التصرفات التى تهمهم وتعنيهم فيما يتصل بالروابط الأسرية وشـئون الأسرة أو بعلاقات الناس مع بعضهم البعض ان ف التعاملات أو العواطف .

٢ ـ للدول : الاسـتقرار المالى ف ميزانيتهـا الذى يكفل لجميع افرادها الحصول على جميع حقوقهم والعيش ف مستوى من الرزق الحلال يتناسب مع كرامة الانســان وصيانته عن الانحراف ، كما يوفر كل الخدمات ف صورة طيبة .

وكذلك يحقق لها الاحتفاظ برصيد من الاحتياطى يقيها من الظروف السيئة التى توقعها فريسة للاقتراض الباهظ الفوائد - والذى يجر اليها الخراب - من هذه الدولة أو تلك .

كما يعد - ثالثا - منهجا تحتذيه الدولة فى كل أمورها الأخرى من تعليمية وزراعية وعسكرية .. الخ وكذلك فى علاقتها مع باقى الدول .

* * *

أقول :

وقد أنزل الله تعالى - مشرع هذا النظام الاسلامى - القرآن الكريم (يهدى للتى هى أقوم) فى طريقة الانفاق وفى غير طريقة الانفاق كذلك ، مما يدور عليه صلاح الأفراد والأمم .

أفلا يجدر بنا أن :

نسارع فى اجتناب البخل . أفرادا وأمة ؟؟ !!

ونسارع فى اجتناب الاسراف ، أفرادا وأمة !!

ونسارع - كذلك - فى اتباع طريقة الانفاق المثلى أفرادا وأمة !!

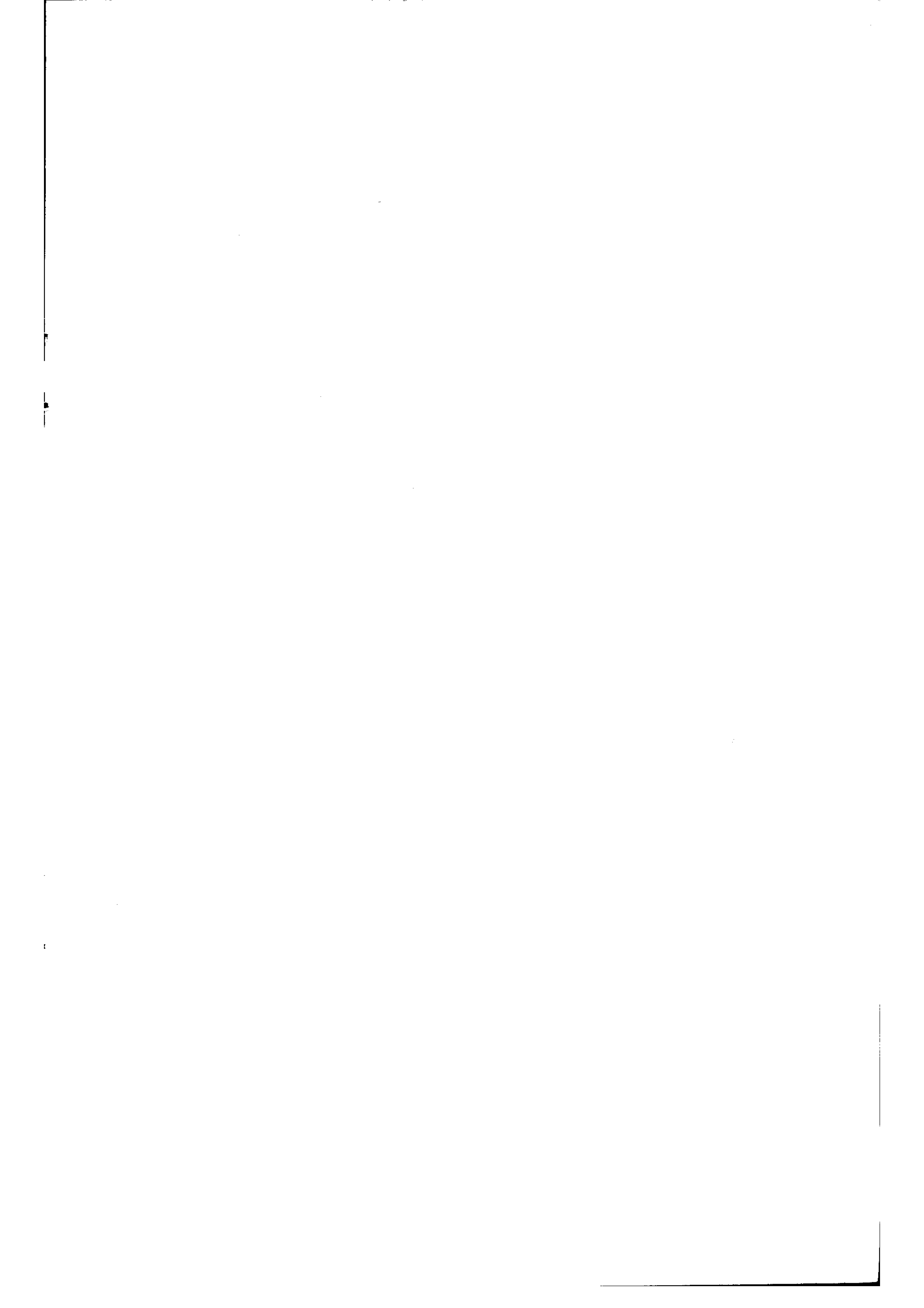
ونسارع - دائما - فى اتباع منهج النظام الاسلامى فى كل أمورنا التى تتصل بمعاشنا ومعادنا أفرادا وأمة ؟؟ .

بعد هذا البيان الشافى والتعليل الوافى لكل أمر ونهى يصدره الينا ويأمرنا به الخبير البصير سبحانه وتعالى !!!! .

حرية المرأة

بين الاسلام .. والمدنية الغربية

- أصـل القضـــية .
- القضـــية فى الاســـلام .
- فتنة المدنية الغربية .
- حرية المرأة فى نظر الاسلام .



● أصـــل القضـــية (*) .

هــذه القضـــية مما تفتقت عنه الثورة الصناعية حديثا ولم تطل برأسها على موائد البحث الا من هذا الحين .. وكان ظهور مثل هذه القضية فى أوربا أمرا حتميا ورد فعل عكسى لأوضاع المرأة فى هذا الحين وقبله عندهم وعند غيرهم .

حيث كانت المرأة لا تعامل بشىء من الانصاف .

فهــذا ـ كما يحدثنـــا العلامـــة أبو على المودودى ـ(١) « ترتوليـــان » أحـــد أقطـــاب المسيحية الأول وأئمتها ، يقول مبينا نظرية المســيحية فى المرأة : « انها مدخل الشـــيطان الى نفس الانسان ، وانها دافعـــة بالمـــرء الى الشجرة الممنوعة ، ناقضـــة لقانون الله ومشـــوهة لصورة الله ، أى الرجل » .

وكذلك بقول « كراى ســـوستام » الذى يعـــد من كبـــار أولياء الديانة المسيحية ، فى شأن المرأة : « هى شر لابد منه ، ووســـوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ورزء مطلى مموه » .

ومن هنا : كان لا ينظر اليها فى هذه المجتمعات الا على انها دون الرجل فى القيمة الانسانية بل أنه فى بعض المجتمعات لما أرادوا تكريمها بعض الشىء ، اعتبروها فى المؤتمر الفرنسى المنعقد عام ٥٨٦ م كما يذكر تقرير المؤتمر « انسانا لا حيوانا

(*) نشر هذا البحث بمجلة « رابطة العالم الاسلامى » التى تصدر بمكة المكرمة العدد الثانى السنة ١٩ الصادر فى صفر ١٤٠١ هـ الموافق ديســــمبر ١٩٨٠ م .

(١) أنظر : الحجاب ص ٢١ ، ٢٢ .

نجسا » وكانت المرأة عندهم لا تطمع فى كثر من أن تكون وسيلة لهو وامتاع للرجل .

ومن الواجبات : فعليها كل شىء .

أما الحقوق : فلا شىء عندهم يسمى حقوق المرأة ، ذلك لأنها « جعلت تحت سلطة الرجل الكاملة ، من الوجهة الاقتصادية ، وأصبحت حقوقها فى الارث محدودة ، وأما حقوقهافى الملكية : فكانت أنزر وأقل ، وما كان لها حق فى كسب يدها ، بل كان كل ما عندها ولها ملكا لزوجها(٢)

وكان هذا - كما نرى - اسفافا فى معاملتها وايغالا فى القسوة عليها ، واهدارا لكرامتها ، ونكرانا لدورها السامى فى الحياة .

ومن هنا : لما قامت الثورة الصناعية كان رد الفعل الذى أحبوا انقاذ المرأة به من وهدة أحوالها السيئة ، وحالتها التى وصلت اليها فى هذه المجتمعات ردا عنيفا وعارما .

ولو أنهم اهتدوا فى اصلاح حالها بهدى الاسلام لما عانت الحضارة الغربية بعض ما تعانيه اليوم من أزمات نفسية وتفككات أسرية ... الخ .

لكنهم فى ثورتهم كانوا عبيدا لأهوائهم ، وثوارا على أحبارهم ، ركبتهم موجة الغرور ، وركبوا أمواج التغيير ..

وفى هذا الجو أطلت برأسها قضية : مساواة المرأة بالرجل

---

(٢) نفسه ص ٢٣ ، ٢٤ .

وكانت هذه هى البداية « مساواة المرأة بالرجل » ولكن المساواة فى ماذا عندهم ؟

فى كل شىء ، ليست فى شىء دون شىء

هكذا : حتى دون اعتبار للفوارق الطبيعية بينهما ..

ألم أقل انه رد فعل .. ؟؟

وكانت هذه هى بداية القضية .

● **القضية فى الاسـلام .**

أما فى الاسلام : فان الأمر مختلف تماما عن ذلك ولا يوجد ما يشغل الأذهان عند المسلمين بهذا الخصوص .

فهذه القضية محلولة منذ أن أشرقت شمس الاسلام على هذا الكون .

فالمرأة مساوية للرجل .

(أ) فى أصـل الخلقة : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا)(٣) .

(ب) فى القيمة الانسـانية : حيث لا تفاضـل الا فى ميزان التقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(جـ) فى الثواب والعقاب الالهى (من عمل صـالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبـة ولنجزينهم أجرهـم بأحسن ما كانوا يعملون)(٤) (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن

---

(٣) الحجرات ١٢ .
(٤) النحل ٩٧ .

عمل صـالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)(٥) .

(د) فى المسئولية الجنائية كذلك (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جـزاء بما كسـبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)(٦) .

وكل ما يترتب على هـذه الأسس للتسـاوى فهما فيـه سواء .. لا مزية لأحدهما على الآخر .

وفيما عدا هذا :

تبقى الخلافات والفوارق الخلقية بين الرجل والمرأة .

وهى الفـوارق التى لا مجال لانكارها ٠٠ ولا شبهة لدعوى التساوى بين الجنسين فيها .

وهى فوارق : يسـتتبعها بالضرورة تغـاير بين حقوق النساء عند الرجال وحقوق الرجال عند النساء وتغاير كذلك بين واجبات النسـاء على الرجال وواجبات الرجال على النساء .

وهذا التخالف : مبنى بالضرورة على التغاير الخلقى بين النوعين ..

وذلك أنه :

لما خلق الله سبحانه وتعالى الرجل والمرأة ، هيأ كلا منهما لوظائف خصصها به ، وخصصه بها .

فجعل وظيفة المرأة الطبيعية : انجاب النوع الانسـانى وتنشئته ، وما أثقلها وأشرفها ـ فى نفس الوقت ـ من وظيفة .

---

(٥) غافر ٤٠ .

(٦) المائدة : ٣٨

وجعل على الرجل فى مقابل ذلك شيئين :

الأول : توفير كل ما يلزم المرأة ويعينها على النجاح فى هذه المهمة الســامية : من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وبعبارة أعم : عليه توفير الحياة السعيدة الكريمة لها دون أن تطالب بشىء من هــذا الا فى الأحوال التى تفرضــها الضرورة .

الثانى : مســئولية الاشراف على حيــاة المرأة . وهــذه المســئولية هى المرادة من قوله تعالى (الرجال قوامون على النســاء) (٧) .

وعلى هذا الأساس : تسير هذه القضــية عند المسلمين نســاء ورجالا دون منازع أو مخالف لها من الرجال أو النساء .

حتى أطلت برأســها فتنة المدنية الغربية علينا فى عالم اليوم مســتهدفة ضرب الاسلام والمســلمين عن طريق المرأة .

● **فتنة المدنيــة الغربية .**

وأعداء الاسلام المتربصون به الدوائر ، ليطفئوا نوره ، فى محاولات جادة مثابرة ، يبحثون خلالها عن الثغرات ومواطن الضعف التى يتخيلونها تحقق لهم أغراضــهم .

ومن الثغرات التى يحــاولون الدخــول لضرب الاســلام والمسلمين عن طريقها :

المرأة .

ومن الوســائل التى أحبــوا أن يســتغلوا بهــا المــرأة لتحقيق أغراضهم ، ، والوصول عن طريقها لقضــاء مآربهم ، وفصل واقعها الانسانى عن التشريع الاسلامى :

---

(٧) النســاء ٣٤

وسـيلتان نابعتان عن أصـل القضـية كما ذكرناهـا عندهم وتابعتان لها .

أوهموا المرأة انها نالت فيهما حريتها ، فقد نالت كامل حريتها ، وان ظلت ملتزمة بتعاليم الاسـلام فيهما ، فقد فقدت كامل حريتها .

وهمـا :

الأولى : حقهـا فى العمل ، ومـا يسـتتبعه من الخروج ، والاختلاط ، .. و ... الخ .

الثانية : حقها فى اختيار ملابسـها ، وكيفية ارتدائها ، وزينتها وكيفية التحلى بهـا ، والسـفور وحقها فى التمتع بمسـتلزماتـه .

ونسـوا ـ أو تناسوا ، أو أرادوا تضـليلها ، واخفـاء ـ أن التشريع الاسـلامى : قد أراح المـرأة من واجب العمـل، ومشقة السعى والكد والتعب ، تمكينا لها من القيام بوظيفتها الطبيعية السـامية ، ودعاها الى عـدم الخروج والاختلاط ، المبعد لها ، والمانع من حسن قيامها ، وتمتعها ، بوظيفتها داخل مملكتها .

ونسـوا ـ أو تناسـوا أو أرادوا تضليلهـا ، واخفـاء ـ أن التشريع الاسـلامى : قد تدخل فى تحديد لباسها وبيان كيفية تزينها ، لكى يرتفع بها عن عالم الغرائز ويسمو بها الى رفعة الانسـانية ، انقاذا لها من أن تكون وسيلة لهو واغراء

وطريق رذيلة وفســاد ، وحفاظا على انسانيتها وأنوثتها من التبذل والانحطاط فى واقعها الانسانى .

ولكن .. !!

هكذا أراد ـ ويريد دائما ـ عدو الانســانية ، وأعداء الله وأعداء التشريع الاسلامى ، ونافخى أبواق الحضارة الغربية الذين اســتغلوا لتحقيق أغراضــهم هــذه .

أجهزة الاعلام .

التى وجهوها ناحية الاهتمام بتشجيع المــرأة على الحرص على التمسك بأكذوبة حقها فى العمل وما يستتبعه ، وعلى كل وسائل التزين الحسية ، بــل على الجرى وراء هــذا ، وكأن المرأة فى نظر أجهزة الاعلام هــذه ، ليست الا وســيلة أغراء وغواية فقط ، كما يريد لها أعداء الانســانية ، وليست صاحبة أشرف رســالة فى الوجود ، كما هــو مقتضى الفطرة وكمــا يرشــدنا اليه التشريع الاسلامى .

فهل هــذه هى الحريــة .. ؟؟

- **حرية المرأة فى نظر الاسلام .**

أما حرية المرأة فى نظر الاسلام : فهى شىء يختلف اختلافا كليا عنها فى نظر الغربيين .

فهى هنا : تهــدف إلى خلق شــخصية المرأة ، واحترام كيانها الانسانى ، فالمرأة ليست كما مهملا ، ولا جسدا يباع ويشترى ، كما أنها ليست وســيلة امتاع وتسلية لمجتمع الرجال مثلما هو المشــاهد فى كثير من مجتمعاتنا المعاصرة .

ولولا هذه الحرية التى منحها الاسلام للمرأة : ما كانت هذه الأجيال العظيمة التى رفعت راية الاسلام فى ربوع الدنيا شرقا وغربا خفاقة مرفوعة ولما كانت هذه الشخصيات العظيمة التى يزهو التاريخ بذكرها بين سطوره ، هذه الاجيال وهذه الشخصيات ، هى من تربية أمهات مسلمات تمتعن بهذه الحرية ، التى منحها الاسلام لهن قبل أن تطل برأسها الفتن واغراءات الانحراف العقلى على نساء هذا العصر :

ولنستعرض بايجاز بعض ملامح حرية المرة فى الاسلام .

(أ) فللمرأة كامل حريتها فى العقيدة التى تحب أن تعتنقها .

بمعنى أنه ليس من مبادىء هذا الدين اجبار المرأة غير المسلمة ـ وكذلك الرجل غير المسلم ـ على اعتناق الدين الاسلامى ، فهى أما ان تعتنقه بمحض اختيارها وكامل حريتها واقتناعها ، واما أن تظل فى مجتمع المسلمين على عقيدتها وتتعامل معاملة الذميين (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)(٨) لكن اذا اعتنقت الاسلام ليس لها أن تعدل عنه الى غيره والا اعتبرت مرتدة ، وتعامل معاملة المرتدين عن الاسلام .

وأكثر من ذلك : لو أن واحدة من الكتابيات يهودية أو نصرانية ، تزوجت بمسلم وأحبت أن تظل على دينها ، فلها ذلك وليس لزوجها اجبارها على الدخول فى الاسلام (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتو الكتاب حل لكم وطعامكم حل

---

(٨) البقرة ٢٥٦ .

لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين)(٩) .

وليس هناك شىء أهم من عقيدة الانسان التى يحيا عليها ، أيا كانت هذه العقيدة التى يعتنقها !!

وليس أدل على حرية المرأة واحترام انسانيتها من حريتها فى العقيدة التى تؤمن بها والدين الذى تتبعه تحت اشراف الدين الاسلامى ودون غضاضة أو سوء معاملة لها حينذاك من المسلمين .

(ب) وللمرأة كذلك : كامل حريتها فى زواجها ، انشاء وانهاء .

بمعنى : أنه عند تزوج المرأة لابد من موافقتها على الزواج من هذا الرجل الذى يريد الزواج منها ، ولابد أن تكون هذه الموافقة صريحة لا إكراه فيها ولا اجبار .

ففى الحديث الشريف :

« لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن »(١٠) .

وقد أعطاها المشرع حق رؤية خاطبها ، ومعرفته معرفة

---

(٩) المائدة ٥ .

(١٠) رواه : البخارى كتاب النكاح باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب الا برضاهما .

يقينة قبل الزواج ، فاذا وافقت : كانت موافقتها حقيقية ، أى على شىء تعرفه وتقتنع بامكان دوام الحياة معه ، ولولا حق الرؤية والمعرفة ، لكانت هــذه الموافقة شكلية وبلا مضمون .

واذا لم توافق : امتنع اتمام هــذا الزواج الذى لا ترغب فيه المرأة .

وهذا : هو معنى أن للمرأة كامل حريتها فى زواجها انشاء وهو أمر يساوق الفطرة والعقل السليم ، اذ لا حرية لانسان لا يملك الحرية فى اختيار شريك حياته ، وقرينه فى رحلته الى مماته ، ولو لم تتوافر الحرية للمرأة فى هذا الأمر : لأصبح الزواج فى أكثر حالاته جحيما تدفن فيــه المرأة وتدفن بالتالى معها حريتها شقيت أو سعدت فى هذا الزواج .

أما معنى أن للمرأة كامل حريتها فى زواجها انهاء :

أن المرأة اذا تزوجت وأكتشفت أن هذا الزواج لا يمكنها الحياة فى ظله ، أو أن الحياة بعد فترة انقلبت بين الزوجين الى شقاء وتعاسة والى حال لا يمكن استدامة الحياة الزوجية عليه أو غير ذلك من الصــور .. وطلبت المرأة من الزوج أن يفترقا فأبى .

هنا لا يقبل الاســلام أن يكره المرأة على البقاء مع مثل هذا الرجل الذى لا ترضــاه ولا تحب البقاء معه ، فيعطيها حرية انهاء هذا الزواج .

نعم : يعطيها حرية انهاء هذا الزواج بنفسها ، وهــو ما يسمى « بالخلع » .

وصـــورته : أن تفتـــدى المـــرأة نفســـها مـن زوجها على مال يأخذه منها ســواء كان هو المهر الذى دفعه لها أو أقل منه أو أكثر أو غير ذلك ، ثم يخالعها ، وبــذلك تصير حرة من هــذه الزيجة التى لا تحب الاستمرار فيها ، ولو امتنع عن ذلك أجبر قانونا .

(ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شـيئا الا ان يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدته به)(١١) .

وفى السنة : جـاء امرأة ثابت بن قيس الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

يارســول الله ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكن أكره الكفر فى الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اقبل الحديقة وطلقها تطليقة »(١٢) .

وهذا : هو معنى أن للمرأة كامل حريتها فى زواجها انهاء .

وهذا هو أسمى وأعظم صــور الحرية ،

اذ فى ذلك :

احترام لانســانية المرأة : حيث لا تقهر وتكبل بالاغلال والقيود على حياة لا ترضــاها ولا تشعر معها أنها تحياها وتفقــد فيهــا كل حريتها ومقومات انسانيتها .

وصــيانة لها عن الانحراف والفســاد فى جميع صوره بل

---

(١١)البقرة ٢٢٩ .

(١٢) رواه البخارى : كتاب الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق فيه .

بالهوان والضعة وفقدانها لحريتها فى اختيار الحياة المستقيمة فى كل صورة من صوره ، التى قد تكون رد فعل لاحساسها التى تريدها .

وصيانة للمجتمع كذلك : عن أن يكون مجتمع الاجبار والقهر والقسوة ، والذى يمتلىء بالضرورة بصور الفساد والانحراف الناتجة عن مثل هذا الاكراه .

(جـ) وللمرأة : حق التملك ، وحريتها فى التصرف فيما تملكه .

(للرجل نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضا)(١٣) .

ولا سلطان لأحد ولا ولاية عليها تحول بينها وبين التصرف فى ما لها الخاص بطريق الميراث أو غيره ، ما دامت قد أصبحت أهلا لذلك ، وليست العلاقة بينها وبين والدها أو أخيها أو زوجها أو ابنها فى هذه التصرفات المالية الا علاقة الاستشارة والاستئناس بالرأى فقط ، ولا سلطان حتى لزوجها فى منعها عن هذه التصرفات المالية الا اذا أدت الى خروجها عن طاعته أو الاهمال فى حقوقه عليها .

فهى اذا تتمتع :

بحريتها الكاملة فى الاعتقاد والدين .

بحريتها الكاملة فى الزواج انشاء وانهاء .

بحريتها الكاملة فى التملك والتصرفات المالية

---

(١٣) النساء : ٧

كما أراد الله تعالى .

خبرونى بربكم : -

أهذا أفضل لها .. !! ؟

أم حريتها .. !!

فى الخروج - دون حاجة - للعمل ، وما يستتبعه من الاختلاط ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ الخ ؟

وفى اختيار ملابسها ، وكيفية ارتدائها وافقت الشريعة أو خالفت ؟؟

وزينتها ، وكيفية التحلى بها وافقت الشريعة أو خالفت ؟؟

والسفور وحقها فى التمتع بمستلزماته . ؟

كما أرادت المدنية الصناعية الغربية ؟؟ !!

ان المسألة - سيداتى وسادتى - جد واضحة .

* * *

جراحة التجميل
بين التشريع الاسلامي والواقع المعاصر

- تمهيـــد
- الواقع المعاصر
- التشريع الاســلامى
- حكمة المشرع



● تمهيـــــد ٠

مما بـدأ ينتشر فى الواقع المعـاصر ، بدافع من : غريزة المرأة ، أو عقلية الانسان ، أو ابتكارات العصر ، أو من جميعها « جراحات التجميل » ٠

وهى : عمليات جراحية ، صغيرة أو كبيرة ، يراد منها :
أما علاج عيوب خلقية ، تتسبب فى ايذاء صاحبها ، بدنيا ، أو نفسـيا ٠

وأما تحسين شىء فى الخلقة ، بحثا عن جوانب من الجمـال أكثر من الموجـود ، أو بدلا عن المفقـود ٠

وقد كثر هذا اللون من ألوان التجمل فى أيامنا هذه ، وفى واقعنا الذى نعيشه ، وتخصص له أناس ، قصروا أنفسهم عليه ، ووفروا وقتهم للتفنن فيه ، كما أصبح له أقسام فى كثير من كليات ومعاهد الطب ، وعيادات لكبار الجراحين ، للاهتمام به تدريسا ومزاولة .

واذا كانت أجهزة الاعلام فى كثير من الدول : تلهب النساء بسـياط التشجيـع والتـرغيب فى هـذا اللـون من التجمـل بنوعيه ، !!!

واذا كان الواقع الانسانى المعاصر : يتقبل بصدر مفتوح ، كل ما يثير فيه الغرائز ، وينمى لديه الشهوات !!!

فان التشريع الاسلامى : يختلف عن ذلك كلية .

وفيما يلى : نرى صورة سريعة لهذا الواقع المعاصر ، ثم

ننعطف بعدها ، الى بيان موقف التشريع الاسلامى من هذه العمليات .

● **الواقــع المعــاصر :**

ونكتفى فى تصوير هذا الواقع ؛ بمقالين ، أسوقهما بألفاظ كاتبيهما نرى منهما : مبلغ هذه الكثرة ، وحجم هذا الاهتمام ، ومدى ارتماء هــذا الواقع فى أحضــان الرغبــة الجارفة لهــذه العمليات الجراحية التجميلية .

الأول : تعرضه لنــا مجلة « أكتوبر »(١) ، تحت عنــوان « مهم أن يكون أنفك جميلا » .

والثانى : تعرضه لنا جريدة الأهرام(٢) ، تحت عنــوان « خبراء التجميل العالميون فى آخــر مؤتمر لهم بالقاهرة .. !! السمنــة الزائدة ، والريجيم القاسى ، أخطر أسـبـاب ظهور التجاعيد » .

أما عن الأول منهما :

فيقول المقال :

لم يحدث قبل هذه الأيام أن بلغت السيدات اللائي يلجأن الى مبضع جراح الجمال .. هذا العدد الكبير .

فهل تفعل المرأة ذلك انسياقا مع مقتضيات « المودة » ؟ .

---

(١) العدد ١٣ الصادر فى ١٩٧٧/١/٢٣ م ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) العدد الصادر فى ١٩٨٢/١١/٢٦ م ص ١١ .

أم لمجرد نزوة طافت برأسها ؟ .

ان طبيعة المرأة : قد تجعلها تقدم على أى شىء ، نزولا على أحكام « المودة » ، وخضوعا لنزواتها الطارئة .

ان هذا : هو رأى علماء السلوك والطباع على الأقل .

غير أن الاحصائيات التى تمت أخيرا فى هذا الصدد ، والتحقيق الذى جرى بشأنه مع عدد من الكواكب والنجوم ، يؤكد أن جراحات التجميل : قد تكون مما تتطلبه المهنة التى تخصصت فيها المرأة ، أو وسيلة للتغلب على بعض عقدها واستعادة ثقتها فى نفسها ..

هذا : كلام عام عن المرأة .

فما رأى الفتاة المصرية ؟ .

هل تواتيها الشجاعة ، اذا رأى البعض أن أنفها يعيب ولو قليلا جمال وجهها ، أن تذهب الى الجراح ، وتطلب منه أن يضع لها أنفا أجمل منه ؟؟

ثم يقدم المقال تحقيقا مع بعض من تمت لهن عمليات تجميل فيقول :

قالوا بعد اجراء العملية :

ولنسمع الآن آراء عدد من اللائى أجريت لهن عملية الأنف الجميل ، فيما يتعلق بالدوافع التى حملتهن على اجرائها ،

تقول « باولانيدسكو » وهى ممثلة ايطالية :

لقد أقدمت على عملية تجميل الأنف بوصفى ممثلة ، وليس بوصفى امرأة ، وقد انقضى الآن شهران على ذلك .. كان الجميع - قبل ذلك - يقولون :ان عيبى الوحيد هو ذلك التقوس البسيط الذى يظهر فى أنفى ، فما أن لاحت لى فرصة اجراء العملية حتى أقبلت عليها بنفس مطمئنة ، وخاصة أن الطبيب المختص أكد لى أنه ليس هناك أى خطر منها .

على أن الشىء الذى أود أن أسر به الى سائر النساء : هو أنه لو لم تكن مهنتى هى التمثيل فى السينما ، لما جرؤت على هذه العملية .. خاصة : أن فيها بعض المتاعب .. ومن ذلك : أنى أمضيت أسبوعين أتنفس ليلا ونهارا من فمى ، ولا أستطيع أن أتقلب على الوسادة عند النوم يمينا أو يسارا ، والا ضاع أثر العملية .

وهذا رأى مخالف للرأى السابق .

انه لممثلة ايطالية تدعى « ماريا انجيلا » وتقول :

على المرأة لتكون أجمل مما هى ، أن تتحمل أى شيء فى سبيل الجمال . اننى أجريت العملية بكل ارتياح ، لأنها كانت ستعود على شخصيا بالفائدة ، ولكى تظل المرأة واثقة من نفسها ، لابد أن يكون جمالها كاملا .. لقد كنت اكره نفسى لكراهيتي لأنفي الذى يحد من جمالى ، فلما رأيت الأنف

الجديد ، ومدى انسجامه مع وجهى ، تنفست الصعداء ، وأيقنت أن تأثيرى على الرجال سوف يكون عظيما .

ثم يتابع المقال قائلا :

ويبدو أن الايطاليات مندفعات بعض الشىء فى آرائهن ..

ولذلك :

ننتقل الى فتاة انجليزية ، هى « شيلاجابل » تقول :

كنت فى بداية العمل فى السينما ، وكان ذلك حوالى عام ١٩٦٠م ، ولم أكن أسمع من المخرجين الذين قدمونى الا العبارة التالية : « لن تظهرى فى السينما ولك هذا الأنف ... » .

اذن كان أنفى هو الذى يحد من انطلاقى ، ويمنعنى من الظهور أمام الجمهور ، وفكرت طويلا فى الأمر ، ثم عزمت على الاطاحة بهذا الأنف ، وأسلمت نفسى لجراح مشهور ، وأجريت لى الجراحة ، وأسفرت عن نجاح باهر .

وتتابع المجلة : بعد تقديمها آراء بعض من أجريت لهن العمليات ، فتتقدم : رأى الأطباء ، فتقول :

ولكن : ما رأى الأطباء ؟ .

ان « البروفيسور جان فرانكو كوديجا » وهو متخصص فى جراحات التجميل ، يتحدث عن الدوافع التى تحمل النساء على طلب تدخل الطب الحديث ، لتصليح أى عيب فى الوجه .

فيقول : انها أساسا رغبة المـرأة فى اشباع نزعة غرور تعتريها .

أو تطلعها الى فتـرة ثانية من الشـباب ، بعـد تقدمها فى العمر .

ويقول أيضا : ان المرأة عندما تقرر أن تعيد صنع وجهها ، أو زيادة ، أو تقليل حجم صدرها ، أو رفع بطنها التى تدلت وارتخت .. فمعنى ذلك : أنهـا تنشد معـونة الطب فى حـل مشكلات نفسية تتعرض لها ، قد تقودها اذا لم تحل الى مآسى فى بعض الأحيان .

« خاتمة المقال » .

وبعد هذا ..

وبعـد أن تزين المجلـة جوانب المقـال بمجموعة جـذابة من صـور بعض النســاء اللائى أجريت لهن العملية ، تختم مقالها بهذا النداء الصارخ ، والتشجيع الملح ، قائلة :

ان عملية التجميل الكاملة للوجه : تستغرق الآن حوالى نصف ساعة ، والجراح تلتم خلال أسبوع واحد .. !!

فهل تجد المرأة المصرية فى هذه التسهيلات مـا يشجعها حتى على التفكير فى ازالة ما فيها من عيوب .. ان هى وجدت ؟!!

وهل تتحمل المخاوف التى تصاحبها عادة .. على الأقل لرضاء للرجل المصرى ؟ !!

« انتهى المقال » .

وأما عن الثانى منهما :

فتقول « تهانى حافظ » على صفحات جريدة الأهـرام :

لم يعد جمال المرأة واحتفاظها بنضارتهاوحيويتها : رهنابالصبا والشباب .. فى المؤتمر العالمى لجراحة التجميل ، الذى عقد أخيرا بالقاهرة ، أجمع الأطباء واخصائيو جراحة التجميل ، على أن حواء العصر الحديث ، تستطيع أن تواجه بكل ثقة واطمئنان ، التقدم فى العمر ..

فعندما تترك سنوات العمر بصماتها من : تجاعيد وترهل ، وارتخاء ، على جسم المرأة ووجهها ، يأتى العلم بكل امكانياته ويقف الطب بكل جديد الى جوارها ، يحميها ، وتكون جراحة التجميل هـى العصـا السحرية التى تعيـد للمـرأة جمالها وشبابها .

عن الجديد فى جراحة التجميل وأهم ما توصل اليه العلم فى عالم جراحة التجميل الحديث .. مـع د. محمد شوقى كمال أستاذ جراحة التجميل بطب قصر العينى .

ـ متى يبدأ ظهـور التجاعيد والترهـل فى الجلد ؟

بعـد سن الأربعين ، تبـدأ أنسجـة الجسم تأخذ شكل منحنى فى النزول ، وهذا وضع طبيعى ـ لابد بعد سن الأربعين ـ أن تحدث للمرأة تغيرات فسيولوجية ونفسية ، مما يؤدى الى عدم مرونة الجلد ، ولكن هناك عوامل تعجل بظهور الارتخاء فى أنسجة الجلد وظهور التجاعيد ، وخاصة فى منطقة الوجه ، وأهم

هذه العوامل : الأرق ، والتوتر ، والارهاق ؛ نتيجة القيـام بمجهود جسمانى ، والسهر لفترات طويلة ، وتناول المشروبات الكحولية ، والافراط فى تناول المنبهات مثل الشاى والقهوة ، وعـدم العناية بالتغذية السليمة ، والسمنة الزائدة ، والتى يتبعها رجيم قاس .

لذلك : ينصح د. محمد شوقى ، بتحاشى كل العـوامل السابقة ، حتى لا تظهر التجاعيد مبكرا .

ـ ما هى أكثر أنـواع عمليات التجميل انتشـارا ؟

ـ عملية شد جلد الوجه المعـروفة ، لعودة الصبا ، وارجاع الشباب ، فالوجه يعتبر مرآة الجسم وخاصة فى منطقة الجبهة والوجنتين والشفتين والرقبة .

والغريب : ان نسبة اقبـال الرجال على هـذا النوع من عمليـات التجميل ، لا تقل عن النسـاء !!!!

وهناك طريقتان لهذه العملية :

أما الطريقة الكيماوية ، وذلك باستخدام مادة كاويـة مخففة ينتج عنها حدوث مرونة سطحية فى الجلد ، وتلتئم عن طريق أنسجة مشدودة ، تعطى للوجه لمعة وشدة .

أما الطريقة الأخرى : فهى العمليات الجراحية ، ولا ينصح باجرائها قبل سن الأربعين ، حتى يكون هناك كمية من الجلد يمكن شدها لاحداث النتيجة المرضية ، وهذه العملية : يمكن

اجراؤها عـدة مرات ، والمعتـاد : أنهـا تستمر من ٥ الى ١٠ سنوات ، وقد تستمر نتائجها الى الأبد ، اذا ما غير الشخص من أسلوب حياته ، وتحاشى كل العوامل التى تؤدى الى عودة ظهور التجاعيد ، وقد ذكرناها .

ولا شك أن الشخص الذى يقوم باجراء العملية : عنـدما يجد نفسه قد عاد سنوات الى الوراء ، وعادت اليـه حيويته ونضارته ، سيكون هنـاك تغيير كبير فى نفسيته ، ويصبح أكثر سعادة ، وأكثر نشاطا وتقبلا للحياة .

ـ هل هناك جديد فى جـراحة التجميل وانقاص الوزن ؟

ـ يجيب د. محمد شـوقى : أن دور جراحـة التجميل فى انقاص الوزن ، يجب ألا يأتى الا بعد القيام بعمل رجيم ، ففى بعض الحالات عندما تقوم المرأة بعمل رجيم لانقاص وزنها : قد يحدث ارتخاء ، أو تهدل ، فى بعض أجزاء جسمها ، ويظل فى جسمها تجمعات دهنية تشبه الأكياس الدهنية ، وهنا يمكن اجراء عملية لازالة هذه التجمعات الدهنية ، أو لشد الجلد ، فقد يحدث : تهدل فى جلد البطن ، على أثر الرجيم القاسى ، أو تكرار الولادة ، فيمكن عمل فتحة فى أسفل البطن ، بحيث يكون الأثر الناتج عن التئام الجرح فى منطقـة غير مرئية ، وحتى يمكن المحافظـة على أجـزاء البطن المختلفـة فى مكانهـا الطبيعى ، وخاصة : منطقة السرة ، كما أنه : يمكن اجراء عمليات شد الجلد فى أى أماكن أخرى ، قد تتأثر بانقاص الوزن السريع ، مثل : مناطق الرقبة ، أو الوجه ، أو الفخدين .

وهــذه العمليات : تكون ذات نتائج طيبة ، وليس لهــا مضاعفات ، ولكن الخطورة الوحيدة فيها ، هى أن الشخص بعد اجراء العملية ، قد يتصور أنــه : سيصير رشيقا الى الأبد ، فيعود الى التهام كميات الطعام كما كان قبل اجراء الرجيم ، والعملية ، وبالتالى : يعود وزنه كما كان ، بل أنه قد يحدث تشوه فى المنطقة التى اجريت فيها العملية ، ولذلك : ينصح بعد اجراء هــذا النوع من العمليــــات ، بالمحافظة على : القيــام بالتمرينات الرياضية ، والمشى باستمرار ، لتقوية عضلاته .

ـ ماذا عن عمليــات تجميل الأنف ؟؟

ـ من أكثر العمليات شــيوعا فى مصر : عمليــات تجمــيل الأنف ، وهى تعتبر من أنجح العمليات ، لأنها تجــرى داخل الأنف ، وبالتالى : لا تظهر نهائيا أية جروح ، وفى خلال أسبوع : يعــود المريض لحالته الطبيعية ، بعــد حصــوله على نتيجــة رائعة .

وعمليات تجميل الأنف نوعان : تضخيم الأنف ، وسواء كان التضخم فى العظام ، أو الغضاريف ، أو الأنسجة ، يمكن اصلاحها فى عملية واحدة ، وتكبير الأنف ، فى حالات الكسور أو الأنف المقــوس ، ويمكن اجراء هــذه العمليات : عن طريق استخدام عظــام الحوض ، أو مادة السيلاستك ، لنصل الى الحجم والشكل المطلوب ، مــع ملاحظة : ان هنــاك مقاييس للجمال متفقا عليهــا فى علم جراحــة التجميل ، مثلا : الأنف ،

لا يجب أن يزيد عن ثلث طول الوجه ، كذلك : حجم الصدر ، مثلا يجب أن يكون متناسقا مع الجسم ، حتى تعطى العملية نتيجة رائعة ، ومرضية .

ـ آخر ما وصلت اليه جراحة التجميل بالنسبة للصدر ..؟

ـ هنـــاك عمليات : تكبيز ، أو تقصير الثدى .

وتعتبر عمليات تقصير الثدى : من العمليات التى تأتى فى المرتبة الثانية ، بعد عمليات الأنف ، فى مصر .

والحديث فيها : هو استخدام طريقة المدرسة الفرنسية ، وهى مدرسة مشهورة فى عــالم جراحة التجميل ، وبالـذات تجميل الثديين ، وهذه الطريقة فى اجراء العملية ، يمكن بعدها أن تقوم المرأة بارضاع طفلها ، بالاضافة الى : أن الفتحة فى هذه العملية تكون جانبية ، وبالتالى لا تظهر ، ويمكن : تصغير الثدى الى الدرجة المطلوبة فى حدود المعقول ، ويحتفظ الثـدى بشكله الطبيعى .

أمــا عملية تكبير الثـدى الى الحجم المطلـوب بالطريقة الحديثة : فتكون باستخدام مــادة السيلاستك ، وهى مــادة لا تتفاعل مع أنسجة الجسم ، ولها ملمس الثدى تماما ، بحيث أنه بعــد العملية لا يمكن التفــرقة ، ويكون للصــدر ملمس طبيعى .

ولا توجد علاقة بين استخدام مادة السيلاتيك فى تكبير

الثدى وحدوث سرطان الثدى ، فقد كانت هناك بلبلة بخصوص هذا الموضوع وحسمت نهائيا .

وهناك فكرة خاطئة عند البعض :

وهى أن عمليات التجميل ، تعتبر باهظة التكاليف والحقيقة : ان هذه العمليات ، أصبحت ذات تكاليف معقولة ، وفى حدود العمليات العادية ، بالاضافة الى أن عمليات التجميل : لم تعد تقتصر على اعادة النضارة والجمال والرشاقة للبشرة ، وللجسم ، بل انها تعطى احساسا بالجمال ، يفوق كل تصور .. !!

انتهى المقال :

ونلاحظ :

١ ـ أن كل من ذكرت المجلة ممن قمن بمثل هذه العمليات .. سواء أكان فى ثنايا المقال ، أم فى الصور التى عرضت ـ كما قلنا ـ على جوانبه ؛ كلهن من الممثلات ، أو المطربات .. أى كلهن ممن يظهر على الشاشات الكبيرة أو الصغيرة أو على صفحات الجرائد والمجلات ، ويحاولن دائما عرض جمالهن ورشاقتهن ، ويبحثن دائما عن مواطن : الاثارة ، والاغراء .

٢ ـ أن السبب ـ عادة ـ فى اجراء هذه الجراحات هو :

رغبة المرأة فى اشباع نزعة غرور تعتريها .

أو تطلعها الى فترة ثانية فى الشباب ، بعد تقدمها فى العمر .

وهــو السبب الذى يذكره : « البروفيسور جــان فرانكو كوديجا » أخصائى جراحات التجميل ٠

٣ ــ أن بعض من أجريت لهن هذه الجراحات : يصرحن بأن تأثيرهن على الرجال بعــد هــذه العمليات ، سوف يكــون عظيما ؛

٤ ــ أن المجلة والجريدة : تدفع كل منهما بالمرأة المصرية دفعا ، وتهيب بها بكل قوة ، الى الاقدام على هذه العمليات ، على الأقل ــ كما ترى المجلة ــ ارضاء للرجل المصرى ٠

وليست هذه النماذج وحدها فى رأينا : بل معظم أجهزة الاعلام ، تساهم بقــدر كبير ، فى التشجيع على مثل اللون من التجمــيل ، وصبغ الواقع المعــاصر به ٠

أما عن موقف التشريع الاسلامى ، من جراحات التجميل فسوف يتضح باذن الله تعالى فيما يلى :

● **موقف التشريع الاسلامى :**

يفرق الاسلام بين عمليات التجميل ، ويفارق بين موقفه منها حسب هذا التفريق ، الى قسمين :

القسم الأول : الجراحات التجميلية ، التى تعالج عيبا فى الانسان ــ امرأة كانت أو رجلا ــ يتسبب فى ايذائه ، نفسيا أو بدنيــا ، ويصاحبه ــ كذلك ــ ان لم يعــالج ألــم شديد ، لا يستطيع صاحبه تحمله ، كما قد يتسبب فى اعاقته عن أداء وظيفته ، أو كمال قيامه بها ٠

ولأن التشريع الاسلامى لا يهدف الى : تعذيب الناس ، أو حرمانهم مما يحقق لهم فائدة ، تمكنهم من النجاح فى حياتهم ، وتعينهم على تحقيق انسانيتهم ، دونما اطلاق لعنان فوضى الغرائز ، ودنما أماته لفطرة الانوثة ـ التى خلقها المشرع سبحانه ـ فى المرأة .

فقد أباح هذا النوع من عمليات التجميل .

وتتضافر الأدلة على اباحة ذلك ، من نقلية ـ كما سنرى ـ أو عقلية ، كما رأينا .

القسم الثانى : الجراحات التجميلية ، التى لا تعالج عيبا فى المرأة ، يؤلمها ويؤذيها ، بل يكون الدافع لذلك : هو مثل ما يصرح به « البروفيسور جان فرانكوكوديجا » فى مقال مجلة أكتوبر ، السابق ذكره .

وهذا النوع يحرمه الاسلام .. والأدلة على ذلك ، هى :

أولا : من القرآن .. دخوله فى عموم قوله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(٣) .

ففى رواية مسلم : من صحيحه(٤) « عن عبد الله ابن مسعود ، أنه قال : لعن الله الواشمات ، والمستوشمات(٥) ،

---

(٣) الحشر ٧ .

(٤) كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ... الخ .

(٥) الوشم : أن يغرز فى العضو ابرة أو نحوها فيسيل الدم ثم يحشى بكحل أو مداد ، ويكون فى الوجه أو اليد أو غير ذلك من الجسد ، وقد يكون برسومات أو كتابة ، والواشمة هي التي تفعل ذلك ، والمستوشمة المفعول بها .

والنامصات ، والمتنمصات(٦) والمتفلجات(٧) للحسن ، المغيرات خلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد ، يقال لها : أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأتتــه ، فقالت : مـا حديث بلغنى عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله ؟ فقــال عبد الله : وما لى لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى كتاب الله ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف ، فما وجدته ، فقال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فقالت المرأة : فأنى أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن ، قال : اذهبى فانظرى ، قال ـ أى الراوى ـ قد خلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئا ، فجاءت اليه ، فقالت : ما رأيت شيئا ، فقال أما لو كان ذلك لم نجامعها » .

ثانيا : من السنة :

مـا رواه : البخـارى(٨) ، ومسلم(٤) ، وأبو داود(٩) ، وغيرهم .

وكله : يحرم المبالغة فى عملية التزين ، وينهى عن تغيير ـ أو محاولة تغيير ـ خلق الله تعالى .

وهى نصوص أكثر من أن يتسع لها المقام هنا .

---

(٦) النماص : ازالة شعر الوجه بالمنقاش ، ويقال : ان النماص يختص بازالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما والنامصة هى التى تفعل ذلك والمتنمصة هى التى تطلب أن يفعل بها ذلك .

(٧) التفلج : أن يفرج ما بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه وذلك فى الأسنان ، وتفعله الكبيرة لتوهم أنها صغيرة .

(٨) أنظر : صحيح البخارى كتاب اللباس ، باب المتنمصات .

(٩) أنظر : سنن أبي داود كتاب الترجل باب في صلة الشعر .

ثالثا : اجماع سلف هذه الأمة ، وعلمائها ، على : تحريم ذلك ، والالتزام باجتنابه .

(أ) فهذا : عبد الله بن مسعود ، الصحابى الجليل ، المتوفى سنة ٣٢ هـ - ٦٥٣ م تتحداه أم يعقوب فى بيته - كما رأينا - حتى تتأكد من براءته من الوقوع فيما حكم بحرمته ، ونهى عنه ،

« وقد أخرج الطبرانى هذا الحديث : وزاد فى آخره ، كما يقول ابن حجر فى فتح البارى»(١٠) ، فقال عبد الله : ما حفظت وصية شعيب اذا ، يعنى : قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) .

(ب) ومن الضرورى : أن يكون جل الصحابة ، رضوان الله عليهم - أن لم يكن كلهم - على شاكلة عبد الله بن مسعود ، فهما وتطبيقا لهذا .

(جـ) ويرى الامام الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠هـ - ٩٢٢م أنه : لا يجوز للمرأة ، تغيير شىء من خلقتها التى خلقها الله عليها ، بزيادة أو نقص ، التماس للحسن ، لا للزوج ولا لغيره ، كمن تكون : مقرونة الحاجبين ، فتزيل ما بينهما ، توهم البلج(١١) ، ومن تكون : لها سن زائدة ، فتقلعها ، أو طويلة ، فتقطع منها ، أو لحية ، أو شارب ، أو عنفقة ، فتزيلها بالنتف ،

---

(١٠) أنظر : ١٠/٣٧٣ .

(١١) أى حسن الطلعة : يقال للرجل الطلق الوجه ذى الكرم والمعروف : هو أبلج وان كان أقرن أنظر أساس البلاغة للزمخشرى (مادة : بلج) .

ومن يكون شعرها قصيرا أو حقيرا ، فتطوله ، أو تغرزه بشعر غيرها ، فكل ذلك : داخل فى النهى ، وهو من تغيير خلق الله .

ثم يقول :

ويستثنى من ذلك : ما يحصل به الضرر والأذية ، كمن تكون لها : سن زائدة ، أو طويلة ، تعيقها فى الأكل ، أو اصبع زائدة ، تؤذيها وتؤلهما ، فيجوز ذلك(١٢) .

(د) لكن الامام النووى ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ـ ١٢٧٧م يرى : أنه اذا نبت للمرأة لحية أو شارب ، أو عنققة ، فلا يحرم ازالتها ، بل يستحب(١٢) .

(هـ) ويعقب ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م على ما يراه النووى ، بقوله : واطلاقه مقيد باذن الزوج ، وعلمه ، والا فمتى خلا عن ذلك : منع ، للتدليس(١٣) .

ويقول فى موضع آخر من فتح البارى : المذمومة ، من فعلت ذلك ـ أى عمليات التجميل ـ لأجل الحسن ، فلو احتاجت الى ذلك لمداواة مثلاً جاز(١٤) .

- **حكمة الشرع فى موقفه هذا .**

قال الامام الخطابى المتوفى سنة ٣٨٨هـ ـ ٩٩٨م انما ورد الوعيد الشديد ، فى هذه الأشياء ، لما فيها من الغش والخداع ،

---

(١٢) أنظر : صحيح مسلم بشرح النووى ١٤/١٠٦ ، ١٠٧ ، فتح البارى ١٠/٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(١٣) أنظر : فتح البارى ١٠/٣٧٨ .

(١٤) أنظر : ١٠/٣٧٢ ، ٣٧٣ .

ولو رخص فى شىء منها ، لكان وسيلة الى استجازة غيرها من أنواع الغش ، ولما فيها من تغيير الخلقة(١٥) .

ويضاف الى ذلك :

أن فتح البـاب للنساء فى هـذه المبـالغات ، يـؤدى الى ارتمائهن فى أحضان الغرائز الشهوانية ، والبعد ـ تدريجيا ـ عن رسالتهن الانسانية .

وعدم النجاح ـ بالتالى ـ فى خلافة الانسان لله على هذه الأرض ؛ بل فشله بسبب اغراقه فى مثل ذلك ، فى عمارة الكون ، وحسن الاستفادة من كل ما سخره الله تعالى له .

ولشغله الوقوع الدائم فى هذا المنكر ـ الذى حرمه عليه ، لمصلحته ، التشريع الاسلامى ـ عن عبادة الله تعالى ، بل عن الايمان نفسه .

وبالضرورة : عن الأمر بالمعروف ، الذى لا يفعله هو ، أو لا يعرفه أصلا ، وعن النهى عن المنكر ، الذى يفعله هو ، عن علم ، أو عن جهل .

وهنا : يفقد « خيريته » التى خصه الله تعالى بها ، والتى تؤهله لقيادة هـذا العالم ، الـذى يعانى التخبط ، ويقـاسى الحروب ، ويحاط بالرعب ، ٠٠ و ٠٠ و ٠٠٠ الخ ، والذى هو فى أمس الحاجة الى قيادة ، حكيمة ، عاقلة ، راشدة .

---

(١٥) أنظر : فتح البارى ١٠/ ٣٨٠ .

ولن تكون هذه القيادة للعالم ٠٠ الا بتوجيه ممن خلق هذا العالم نفسه ، وبارشاد منه ، وبالتزام لمنهجه ، وتعاليمه ، ولا يتوافر كل ذلك ، أو بعض ذلك ، الا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

أضف الى ذلك :

انه لو عمت هذه العمليات : لكان الاعتراض الدائم على ما خلق الله ، سبحانه وتعالى ، والانشغال بتغييره عن الوظائف الحقيقية ، والمهام الأساسية التى أنيطت بالانسان فى هذا الكون ، ولصرفت المرأة بها عن الرغبة فى الانجاب ، ولو أنجبت : لصرفت عن تنشئته وتربيته ، حتى لا يحرمها هذا الانجاب من الجمال ، أو تصرفها التنشئة عنه وتشغلها .

ومن هنا :

ولكل هذا :

فقد حرم التشريع الاسلامى هذا النوع من عمليات التجميل .

وليس التشريع الاسلامى فى هذا : متجنيا على المرأة ، أو مانعا لها من شىء فيه مصلحتها .

وانما ينبه المرأة دائما الى : أن الجمال الحقيقى : هو فى الخلق لا فى الخلقة ، وان الجمال الدائم : هو جمال الروح والافعال والاقوال لا فى الأشكال والهيئات ، وان الذى ينبغى الحرص عليه : هو ما به يتحقق للمرأة انسانيتها ، وكرامتها ،

وحسن سيرتها ، وهو جمال الخلق والطباع ، وان الجرى وراء هذه المحاولات المستمرة للبحث عن الجمال الشكلى الزائف : لن تكسب الانسان - امرأة كانت أو رجلا - شيئا يستحق الذكر ، بل لم تكسبه فى عصوره الغابرة ، سوى الانطلاق فى طريق الشهوات والغرائز ، الذى يشيع الفاحشة فى المجتمع ، ثم ينتهى به الى : الانحلال ، والدمار ، والهلاك .

وحقا : فانه ما انتشرت هذه الأشياء فى قوم ، وألفها الناس ، وأحبوها ، الا كانت دليلا على انشغالهم بالوسائل دون الغايات ، وعلامة بارزة على شيوع الفواحش والموبقات ، ونذيرا الى اضمحلال حضارتهم ، وطريقا سريعا الى هلاكهم ودمارهم .

والتاريخ القديم والحديث يؤكد ذلك .

فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه : البخارى ، ومسلم ، وأصحاب السنن ، لأصحابه ونساء أمته : « انما هلك بنو اسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم »(١٦) .

وهو نفس ما حدث للامبراطورية الرومانية ، وللامبراطورية الفارسية ، و .... لكثير من الحضارات الغابرة .

ويذكر المؤرخون : أن فرنسا لم تهزم قريبا الا لأن رجالها كانوا بين الكؤوس وافخاذ النساء ، حين دخلتها جيوش الاحتلال .

---

(١٦) أنظر : صحيح البخارى كتاب باب وصل الشعر ، صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة .. الخ . سنن ابى داود كتاب الترجل باب فى صلة الشعر .

موقف الإسلام
من الغريزة الجنسية

لما (*) كان النظام الاسلامى يحرص على أن يكون أتباعه (خير أمة أخرجت للناس)(١) .

فقد أولى موضوع الغريزة الجنسية ، وتكيف حياة الانسان معها ـ تحت ظلال هذا النظام ـ عناية كبيرة ، واهتماما بالغا .

وعمل على الموائمة بين المتطلبات الفطرية والغريزية فى الانسان وبين ما يصبوا اليه .. من كمال يتطلع اليه ويجد فى الحصول عليه .

وهذه الموائمة : تتم فى تناسق بديع وتقسيم أخاذ .

* * *

فهو : لا ينكر عليه ما أودع فيه من الغريزة الجنسية ، هذه الغريزة التى يعدها أولوا المعرفة سلاحا بحدين ، فهى وسيلة فتاكة للانسان وللانسانية معه ، ان سار تحت سعارها ، وسجد عند بطشها ، وهى ـ فى نفس الوقت ـ وسيلة حفظ وبقاء للنوع البشرى ، وأداة تجانس فطرى بين الفرد الانسانى وبين من يساكنه هذه الحياة ، وطريق استمتاع يشعر معه بنعمة هذه الغريزة التى سكنت جوانحه .

كما أنه : لم يكبت فيه هذه الغريزة ، ويعمل على اماتتها وتقبيحها والتنفير منها ، كما فعلت المسيحية ، حينما دعت أتباعها الى التبتل والرهبنة .

(*) نشر هذا البحث بمجلة « المجلة العربية » التى تصدر فى المملكة السعودية العدد ١١ السنة الخامسة الصادر فى ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

(١) آل عمران ١١٠ .

عن سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبى وقاص يقول : أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أجاز ذلك لاختصينا(٢) .

وعن أنس :

أن نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سـألوا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله فى السر .

فقال بعضهم : لا أتزوج النساء .

وقال بعضهم : لا آكل اللحم .

وقال بعضهم : لا أنام على فراش .

فحمد الله وأثنى عليه فقال « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكنى ، أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »(٢) .

* * *

ومن ناحية أخرى : لم يترك لهذه الغريزة حرية افتراس بنى الانسان ، فغولها كاسر ، وسعارها مدمر ، وما أطلق العنان للغريزة الجنسية فى أمة من الأمم الا جعلت أفرادها كهشيم تذروه الرياح ، وكان الدمار والفناء من ساحات الحضارات هو مقرها ومستودعها الأخير .

والتاريخ القديم والحديث : يشهد لذلك ويؤيد صحته .

---

(٢) رواه مسلم : كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤنة .

فهذه هى الحضارات ، البابلية ، والآشورية ، والاغريقيه والرومانية ، والتى بلغت كل واحدة منها أوج المجد والعظمة فى حينها ، ثم ما بدأت تشيخ وتهرم وتنهار الا عندما نخر سوس هذه الغريزة العمياء المفترسة همم أفرادها وعزائم أسيادها .

* * *

أقول : لم يفعل النظام الاسلامى هذا ولا ذاك ، بل اتخذ طريقا واضحا لا لبس فيه ولا خفاء ، وسطا لا عوج فيه ولا انحراف ، يمكن تطبيقه دون تعسف أو تعنت ، ويستطاع معه التناسق بين الانسان وهذه الغريزة ، بما يرفع من شأنه ، ويعاونه على الوصول الى الكمال الانسانى أو القرب منه ، دونما كبت لهذه الغريزة ، وقتل لهذه الفطرة التى أودعها الخالق فى الانسان ، و ـ فى نفس الوقت ـ دونما اطلاق لعنان هذه الغريزة اطلاقا تفتتك به أتباع هذا النظام ، وتحول بسببه بينهم وبين بلوغهم درجة حسن استخلافهم لله تعالى فى هذه الأرض التى نحيا عليها .

حيث : جعل هذه الغريزة أداة بناء لا هدم ، وسيلة بقاء لا فناء ، أسلوب حفاظ لا ضياع ، طريق سمو لا انحطاط ، لكل الأفراد ـ من جميع الأمم ـ التى تسير تحت لواء هذا النظام ، وفى كل البيئات التى يضيىء كذلك بين ربوعها ، وثالثا فى كل العصور التى تشرق عليها شمسه المنيرة الدافئة الحنون .

وذلك : حينما فارق بين استعمال لها واستعمال ، وبين أسلوب لممارستها وأسلوب .

فأحل بعض ألوان ممارستها ، وحرم ألوانا أخرى ،

بأسلوب مقنع واقناع هادىء ، هو شعار الحلول الوسط ، التى لا تجنح الى الافراط ، ولا تميل مع التفريط .

* * *

فقد حرم : الممارسة الجنسية التى تؤدى الى الهلاك والدمار ، بكل صورها وألوانها ، رعاية لبنى الانسان ، وحرصا على أمنهم وأمانهم ، وكذلك : صيانة لسلمهم وسلامتهم ، وتدريبا لهم على الانتصار على شهواتهم التى تغريهم ، وباتباعهم لها تهلكهم وتقضى عليهم .

فحرم الزنا ، وحرم اللواط ، وحرم السحاق ، وحرم الاستمناء ... الخ .

بل حرم كذلك : كل المغريات على ذلك ، والوسائل المؤديات اليه : أو الى بعض منه .

وأحاط تلك المحرمات بسياج منيع من التشنيع والتقبيح والتنفير ، ولم ينفر منها الا بعد تهيئة كل السبل للنفرة منها والابتعاد عنها .

* * *

ومن ناحية أخرى : أحل طرق الممارسة الجنسية التى تؤدى الى البقاء ، وتساعد على النجاح فى ادارة شئون هذه الحياة التى نحياها .

فأحل الزواج : متنفسا لهذه الغريزة القوية ، وعاملا هاما من عوامل بقاء وتناسل وتكاثر النوع الانسانى ، وأداة من أدوات التمتع المباحة فى هذه الحياة الدنيوية ، وطريقا للتوازن ،

وحافزا للعبادة ، وسبيلا لتفريغ شحنة العواطف الكامنة فى الانسان عن طريق الانجاب والتربية .

وقد أحاط الزواج بسياج رقيق جميل ناعم من الأحلام الوردية والأحاسيس السامية الطاهرة .

ففيه : التواد ، والتراحم ، وفيه : الألفة ، والوفاق ، وسكون النفس ، وراحتها ، وهو الواحة : التى يستظلون بها من هجير حياتهم ، وهو : الراحة التى تعين الانسان على ممارسة أعماله وعبادة ربه .

وهو : منحة من الله تعالى لعباده الذين خلقهم وركب فيهم هذا الوحش الكاسر .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٣) .

وفوق ذلك حث عليه ودعى اليه .

* * *

وكان الزواج على هذا النحو : هو الحل الذى يقدمه النظام الاسلامى لمواجهة الغريزة الجنسية المفطورة فى الانسان .

والقرآن الكريم : يمتلىء بالآيات التى تحث على الزواج وتشجع عليه ، سواء أكان ذلك مباشرة أم بالأساليب العرضية .

وكذلك : حينما نقترب من رياض النبى صلى الله عليه

---

(٣) الروم ٢١ .

وسلم نستروح الأريج العطر ، ونشم الشذى الطاهر فى الأحاديث النبوية الشريفة ، التى تحث عليه ، وتدعوا اليه .

* * *

ومن تزوج : فقد عف نفسه عن الحرام ، وأبعدها عن التفكير فيه ، رجلا كان أو امرأة .

لكن !! ما هو العمل والتصرف المناسب عند من لم يصرفه الزواج عن بعض الهواجس والخواطر الجنسية ؟

لا يغفل النظام هذه الحالة ، بل يقدم لها الحل فى اطار علاجه لهذا الموضوع ، سدا لكل الثغرات .

قال جابر : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت فى قلبه ، فليعمد الى امراته ، فليواقعها ، فان ذلك يرد ما فى نفسه »(٤) .

* * *

وأما من لم يستطع الزواج : فالاسلام يقدم له حلا مؤقتا يعينه على حسن التكيف مع هذه الغريزة ، حتى يستطيع ممارستها بالطريق الذى رضيه الاسلام لأتباعه ، وهو الزواج ، وفى نفس الوقت : كان هذا الحل المؤقت عبادة تعينه على كسر حدة هذه الغريزة ، وتساعده على التحكم فى هواه وقيادة نفسه .

وفوق ذلك يثاب من الله تعالى على لجوئه الى هذا الحل المؤقت ، وهو الصيام .

---

(٤) رواه مسلم : كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت فى نفسه ... الخ .

قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشـباب من اسـتطاع منكم البـاءة : فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصـن للفرج ، ومن لم يسـتطع فعليه بالصـوم ، فانه له وجاء »(٢) .

* * *

وبهـذا الشكل : لا تعـد الغريزة الجنسـية مشكلة فى نظر الاسـلام ، بل لا ينبغى أن يطلق عليها عبارة المشـكلة الجنسية ، ازاء موقف النظام الاسلامى منها على هذا النحو .

الحث على الزواج في الإسلام

- تقـــديم •
- حث القرآن الكريم •
- حث السنة النبوية •
- حكم الزواج •
- التنفير من العزوبة •
- أضرار العزوبة •
- عقبات لابد من ازالتها •

• تقـــديم .

عندما حرم الله سبحانه وتعالى على عباده ، طرق الممارسة الجنسية ، التى تؤدى بهم الى الدمار والهلاك .. !!

لم يترك الباب مغلقا فى وجه هذه الغريزة ، التى فطر الله عليها خلقه ، حتى تموت ـ ولن تموت ـ أو تنفجر مدمرة كل شىء ، حتى صاحبها .

بل كان من رحمته تعالى : أن فتح الباب أمامها ، فتحـا موجها ، معتدلا ، هادفا ، يوصــل الى عمــارة الكون ، وحسن استخلاف الانسان لله على هذه الله ، ونجاحه فى حسن قيادته لنفسه ، وبالتالى قيادته لغيره ، وصولا الى نجاحه فى قيادة هذا العالم ، وتوجيهه الى عبادة الله تعالى وحــده ، ونبذ كل صنوف الشرك .

وكان هذا الباب الذى فتحه المولى : هو الزواج .

وكان اغلاق غيره أمــام البشر : خــوفا من الله ســبحانـه وتعالى على البشر .

وكان فتح باب الزواج فقط أمام البشر ، كذلك : رحمة من الله سبحانه وتعالى بالبشر .

نعـــم .. !!

كان رحمة ، وكان منة ، وكان آية .. !!

ولذلك :

قال سبحانه وتعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مـودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(١) .

نعـم .. !!

كان ذلك : على سبيل الامتنان ، والتذكير بنعمة جليلـة من نعم الله الكثيرة على عباده .

ذلك : أن الزواج فيه : التواد ، والتراحم ، وفيه : الألفة ، والوفاق ، وسكون النفس وراحتها .

وهو الواحة : التى يستظل الانسان بها من هجير حياته ، ولهيب مشاكلها ، وهو الراحة : التى تعينه على ممارسة أعماله بنجاح ، وأداء عباداته على وجه يقارب الكمال .

حيث أنه : متنفس لهذه الغريزة القوية ، وعامل هام من عوامل بقاء وتكاثر النوع الانسانى ، وأداة من أدوات التمتع المباحة فى هـذه الحياة الدنيا ، وهو طريق مسـتقيم للتوازن فيها ، وحافز للعبادة فى أيامها ، والسبيل الوحيد المشروع : لتفريغ شـحنة العواطف الكـامنة فى الانسـان ، عن طريق الانجاب والتربية .

وهو : سنة المرسلين والصديقين .

---

(١) الروم ٢١ .

وهو : منحة من الله تعالى لعباده ، الذين خلقهم وركب فيهم هذا الوحش الكاشر ، المسمى بالغريزة الجنسية .

وقد أحاط المشرع الزواج : بسياج رقيق جميل ناعم ، من الأحلام الوردية الواعية ، والأحاسيس السامية الطاهرة ٠

ولأهميته فى بناء الكيان الانسانى ، ورقى الأمة الاسلامية: فقد نال قسطا كبيرا من اهتمام المشرع الحكيم ، الذى فصل فيه – وبين لنا – تفصيلا دقيقا ، يشعرنا بضرورته ، ويركز لنا على خطره .

أليس فى الزواج :

تحصين الدين ؟

وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها ؟

وايجاد النسل وتكثير الأمة ؟

وتحقيق مباهاة النبى صلى الله عليه وسلم ؟(٢)

أقول : بلى .. وألف بلى .

ومن هنا نجد :

الحث عليه ، والدعوة اليه ، من المشرع الحكيم ٠

وكذلك : بيان لمقدماته – وهى : الخطبة – بتفصيل واضح .

---

(١) ابن قدامة : المغنى ٥/٧ ٠

ثم : بيان أحكامه ، وهى كثيرة جدا .

وكذلك : آثاره ...

الى غير ذلك : مما يتصل بهذا الموضوع الهام ، ويدور حوله ، مما يتناسب مع عظيم أثره ، وجليل خطره .

وسوف يدور بحثنا : حول « الحث عليه فقط » ف نقاط ثلاث ، وهى :

الحث عليه ف القرآن والسنة .

حكمه .

بيان بعض الأضرار الناجمة عن الانصراف عنه .

على النحو التالى :

● **حث القرآن الكريم .**

يمتلىء القرآن الكريم بالآيات التى تأمر بالزواج ، وتشجع عليه ، سواء أكان ذلك مباشرة أم بالطرق العرضية .

(أ) فهناك الأمر الصريح به ، لأفراد هذه الأمة ، وجماعتها :

ففى سورة النساء : قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)(٣) .

وف سورة النور : ف قوله تعالى (وانكحوا الايامى ... الخ)(٨) .

(ب) وف سورة الرعد : ما يفيدنا أن الزواج كان سبيل

---

(٣) آية ٣ .

الأنبياء عليهم السلام ، للتوائم والانسجام مع هـذه الغريزة الجنسية ، وكان طريقهم الوحيد الى الانجاب والذرية .

(ولقد أرسـلنا رسـلا من قبلك وجعلنا لهـم أزواجـا وذرية)(٤) .

فأنت يامحمد : مثلهم فى ذلك ، طريقك الوحيد أمام هذه الغريزة : هو الزواج ، طريق الأنبياء من قبلك .

(ج) وتخبرنا سورة الفرقـان أن فى الزواج : قـرة أعين ومبعث مسرة لعباد الرحمن ، الذين يقولون :

(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنـا للمتقين اماما)(٥) .

(د) وتزيل سورة البقرة العقبـات من طريقه ، حينمـا : تنزل فيها الآية الكريمة التالية ، فى هذا الحديث الشريف :

روى : أن معقل بن يسار كانت أخته تحت أبى البـداح ، فطلقها ، وتركها ، حتى انقضـت عدتها . ثم ندم ، فخطبها ، فرضيت ، وأبى أخوها أن يزوجها ، وقال : وجهى من وجهك حرام ان تزوجتيه ، فنزل قول الله تعالى بالآية الكريمة :

(واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان

---

(٤) آيـة ٣٨ .
(٥) أيـة ٧٤ .

منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)(٦) .

قال مقاتل : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا ، فقال : « ان كنت مؤمنا فلا تمنع أختك عن أبى البداح » فقال : آمنت بالله ، وزوجها منه(٧) .

(هـ) وتحث سورة النور ، وتأمر فى صراحة تامة ، بالعمل على تسهيل الزواج فى مجتمع المسلمين ، وازالة جميع العقبات من طريق تيسيره للقادرين عليه ـ وغير القادرين ـ ماديا ، الراغبين فيه ، حينما تقول :

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)(٨) .

وحتى يعمل هؤلاء على : تزويج من لا زوج له بين الجماعة ، وكذلك : حتى يجد من لا مؤنة عنده . ولا يجد ما به ينكح ، حتى يكون ذلك .. !! تقول الآية(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله)(٩) .

وفوق هذا ، نجد :

أن مادة « النكاح » : وردت فى القرآن الكريم ، ثلاث وعشرون مرة(١٠) .

---

(٦) آية ٢٣ .
(٧) البخارى كتاب التفسير باب واذا طلقتم النساء ... الخ .
(٨) آية ٣٢ .
(٩) النور ٣٣ .
(١٠) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس ص ٧١٨ .

وأن مادة « الزواج » : وردت ثلاث وثمانون مرة(١١) .

وهذا : وما سبقه ، يوضح لنا بجلاء ، اهتمام القرآن الكريم بالزواج ، والحرص على جعله الطريق الوحيد ، أمام أتباع النظام الاسلامى لتجاوبهم مع الغريزة الجنسية ، وتكوين الأسرة الانسانية ، وخلق الترابط والتعاطف ، الذى ينبغى أن يشيع ويسود بين أفراد الجماعة الاسلامية ، التى من شأنها أن تكون ـ على كثرة أفرادها ، وتنوع جنسياتها ، وتعدد بلدانها ـ كالجسد الواحد ، ترابطا ، وتواصلا ، وتناصرا وتعاونا على البر والتقوى .

● حث السنة النبوية على الزواج .

وحينما نقترب من رياض النبى صلى الله عليه وسلم وهديه : نستروح هذا الأريج العطر ، ونشم هذا الشذى الطاهر الفواح ، ونستمع الى تلكم النفحات النبوية ، التى تحث المسلمين على الزواج ، وتدعوهم اليه ، فى محاولة : دائبة ، جادة ، للسير بالجماعة الاسلامية نحو الطريق السوى ، وقربا من النجاح ، وأملا فى الوصول الى مرضاة الله تعالى .

فمن : بيان لمنزلة الزواج ومكانته ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح »(١٢) .

---

(١١) نفس المرجع ص ٣٣٢ .

(١٢) رواه الترمذى : كتاب النكاح ـ باب ما جاء فى فضل التزويج والحث عليه ، وقال : حديث حسن غريب .

الى : بيان لأهمية وجود الزوجة بجانب الرجل ، ووجود الزوج بجانب المرأة فى رحلة الحياة ، التى لحسن الصحبة فيها والرفقة ، أثر لا يخفى ، فى تحديد نتيجتها ، ولون نهايتها ، أكثر من أى شىء آخر يخطر على البال أنه قد يحدث هذا الأثر ، حتى ولو كان المال نفسه .. اذ يروى عن ثوبان أنه قال : « لما نزلت (الذين يكنزون الذهب والفضة)(١٣) قال : « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : أنزل فى الذهب والفضة ما أنزل .. !! لو علمنا أى المال خير فنتخذه .. ؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على ايمانه »(١٤) .

و ـ مع نفس هذا البيان لأهميته وضرورته ـ يحيطه صلى الله عليه وسلم بهذه الهالة من القدسية والشرف ، حينما يقرنه بطاعة الله تعالى ، فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة : ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله »(١٥) .

الى : دعوة صريحة اليه ، وحث جاد عليه ، فى توضيح يعلمنا به صلى الله عليه وسلم ، كيفية توائم الانسان مع الغريزة الجنسية التى أودعها الله وخلقها فيه ، حيث يقول

---

(١٣) التوبة ٣٤ .

(١٤) رواه : الترمذى : كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة التوبة ، وابن ماجة كتاب النكاح ـ باب أفضل النساء .

(١٥) رواه ابن ماجة : كتاب النكاح ـ باب أفضل النساء .

صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة : فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصـن للفرج ، ومن لم يجـد فعليه بالصـوم ، فانه له وجاء » (١٦) ٠

الى اظهـار للهدف الرئيسى من النـكاح ، والغـرض الأساسى منه ، لدى الجماعة الاسـلامية ٠

حينما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا : الودود ، الولود ؛ فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »(١٧) .

وفى حديث آخـر : يقول صلى الله عليه وسلم : « النكاح من سنتى ، فمن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا : فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ، ومن كان ذا طول فلينكح ، ومن لم يجد فعليه بالصوم ، فان الصوم له وجاء »(١٨) .

الى : أن يبين صلى الله عليه وسلم ، أن الأمر يسـتحق اهتمـاما ليس على المسـتوى الفردى فقط ، بل هو يسـتحق الاهتمـام ، والتفكير الجـاد البنـاء ، والعمل من كل من يملك المساعدة فى هذا الموضوع ، تسهيلا للراغبين فيه ، وتمكينا لهم منه .. فيما يرويه عنه صلى الله عليه وسلم أبو هريرة .. حيث يقول : قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة حق على الله عز وجل

---

(١٦) رواه : البخارى ـ كتاب النكاح ـ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « من استطاع منكم الباءة الخ ، مسلم : كتاب النكاح ـ باب استحباب النكاح ٠٠ الخ ، الترمذى ـ كتاب النكاح ـ باب فى فضل التزويج ٠٠ الخ ٠

(١٧) رواه : أبو داود ـ كتـاب النكـاح ـ بـاب النهى عن تزوج من لم يلد من النساء ٠

(١٨) رواه : ابن ماجة ـ كتاب النكاح ـ بـاب ما جاء فى فضل النكاح ٠٠ وفى الزوائد : اسناده ضعيف ٠٠ لكن له شاهد صحيح ٠

عونهـم : المكاتب : الذى يريد الأداء ، والنـاكح : الذى يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله »(١٩) ، وذلك : لا يتأتى الا اذا جعلته الجماعة - حكاما ومحكومين - من الأهداف الأساسية لهـا ، والأغراض التى تخطط من أجلها ، على مسـتوى الفرد والجماعة .

الى غير ذلك : من الأحـاديث الكثيرة ، التى تحفل بهـا كتب السنة .

وهذا : حث على النكاح شديد ، ووعيد على تركه ، يقربه الى الوجـوب ، والتخلى عنه الى التحـريم ، ولو كان التخلى أفضـل : لانعكس الأمـر ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ، وبالغ فى العدد ، وفعل ذلك أصحابه(٢٠) .

وما ذلك : الا لأهمية هذا الموضوع فى نظر المشرع الحكيم ، وضرورته لصلاح حال الجماعة الاسلامية ، ووصولا بهم الى سلم المجد ، ومراتب الرقى والفلاح .

ومن هنا : أجمع المسلمون على أن النكاح مشروع (٢١) .

● حكم الزواج .

لمـا قـال الله تعـالى فى هـذا المقـام (وانكحوا الايامى منكم ..) الخ :

اختلف العلماء حول هذا الأمر الالهى بالتزويج :

---

(١٩) رواه : النسائى - كتاب النكاح - باب معونة الناكح الذى يريد العفاف .

(٢٠) ابن قدامة .. المرجع السابق ٥/٧ .

(٢١) نفس المرجع ٤/٧ .

فهل المراد بالأمر : الاباحة ، أو الاستحباب ، أو الوجوب .. ؟

ولكى تفهم حكمة الخلاف ، نقول كما قالوا :

يختلف الحكم فى ذلك ، باختلاف حال المؤمن ، من خوف الفتنة ، ومن عدم صبره ، ومن قوته على الصبر ، وزوال خشية الفتنة عنه ·

فاذا خاف ـ الرجل أو المرأة ـ الهلاك فى الدين ، أو الدنيا أو فيهما :

فالنكاح حتم ، وحكمه حينئذ ـ عند الجميع ـ الوجوب(٢٢) ·

وليس معنى الوجوب : أن يجبر الامام الايامى على الزواج ، ولكن بمعنى أنه ، يتعين اعانة الراغبين منهم فى الزواج ، وتمكينهم من الاحصان ، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية ، وتطهير المجتمع الاسلامى من الفاحشة ، وهو واجب ، ووسيلة الواجب واجبة(٢٣) ·

واذا لم يخش ـ الرجل أو المرأة ـ شيئا ، من الهلاك : فى الدين ، أو فى الدنيا ، أو فيهما :

فان ذلك : يكون محل اختلافهم ، على النحو التالى :

---

(٢٢) أنظر ابن قدامة ·· المرجع نفسه ، القرطبى المرجع السابق ١٢/٢٣٩ ·

(٢٣) سيد قطب · المرجع السابق ٤/٢٥١٥ ·

فهو مباح عند الشافعى .

وعلته : أنه ـ فى هذه الحالة ـ قضاء لذة ، كالأكل والشرب ، فكان مباحا مثلها .

وهو مستحب : عند مالك ، وأبى حنيفة .

ودليلهم : الحديث الصحيح « من رغب عن سنتى فليس منى »(٢٤) .

وبعد بيان حكم الأمر فى قوله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم ..) .

يبقى بعد ذلك تساؤلان :

الأول : من المأمور بهذا الأمر .. ؟

الثانى : من هم المأمور بتزويجهم .. ؟

ففى الجواب الأول نقول :

ان أول ما يتبادر الى الذهن بخصوص الخطاب فى قوله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم) أن أمر الانكاح موكول للذكور دون الاناث .

وعلى هذا : جرى أسلوب القرآن الكريم .

ففى سورة النساء (فانكحوهن باذن أهلهن)(٢٥) .

وفى سورة القصص (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين)(٢٦) .

---

(٢٤) القرطبى ـ نفس الموضع السابق .

(٢٥) آية ٢٥ .

وفى سورة النساء أيضا (الرجال قوامون على النساء)(٢٧) .

وفى الحديث كذلك :

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها ، فان الزانية هى التى تزوج نفسها »(٢٨) .

وقد تعاضد الكتاب والسنة على أن لا نكاح الا بولى ، أى من الرجال(٢٩) .

وبعد هذا .

من من الذكور تأمر هذه الآية بالانكاح .. ؟

قيل : هم الأولياء ، أى أولياء أمر المرأة ، أو أولياء أمر الرجل ، أو أولياء الجماعة ، ويصح الجميع ، وكذلك أولياء أمر العبد أو الأمة .

وقيل : هم الأزواج .

والصحيح الأول(٣٠) .

وهو المعقول : فأولياء الأمر ، هم أصحاب القدرة على التنفيذ ، ويتوجه الخطاب مباشرة اليهم .

---

(٢٦) آية ٢٧ .

(٢٧) آية ٣٤ .

(٢٨) رواه : ابن ماجة ـ كتاب النكاح ، باب لانكاح الابولى/وراوه : الدار قطنى ـ كتاب النكاح .

(٢٩) أنظر القرطبى ٣/٧٣ وهو قول أكثر العلماء ، وقال أبو حنيفة : اذا زوجت الثيب أو البكر نفسها بغير ولى كفئا لها جاز .

(٣٠) أنظر القرطبي ١٢/٢٣٩ ، ابن العربي : أحكام القرآن ٣/١٣٧٦ .

انه تبيـان واضح لطريق حـل هـذه المشكلة فى مجتمع المسلمين حلا عمليا .

وفى جواب الثانى نقول :

ان المأمور بتزويجهم حسب ما بينتهم آية النور صنفان :

الأول : الأيامى .

الثانى : الصالحين من العبيد والاماء .

والأيامى ، جمع أيم ، وقد اتفق أهل اللغة على أن الأيم فى الأصـل ، هى المـرأة التى لا زوج لهـا ، بكـرا كانت أو ثيبا ، تقـول العرب : تأيمت المرأة اذا أقامت لا تتزوج . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « أنا وأمرأة سفعاء الخدين تأيمت على ولدها الصـغار ، حتى يبلغوا أو يغنيهم الله من فضله ، كهاتين فى الجنة »(٣١) . وقال أبو عبيد : يقال رجـل أيم ، وامرأة أيم ، وأكثر ما يكون ذلك فى النسـاء ، وهو كالمستعار فى الرجال(٣٢) .

وعلى ذلك :

فالأيم هو : من لا زوج له ، رجلا كان أو امرأة ، وسـواء سبق الزواج لأى منهما ثم فارق ، أو لم يسبق(٣٣) .

والمـراد هنا : المسـاعدة فى تتميم عملية التزوج لهؤلاء ، وازالة العقبات من طريق زواجهم ، سواء أكانت هذه العقبات

---

(٣١) القرطبى ٢٣٩/١٢ ـ النهاية لابن الاثير مادة باب الهمزة مـع الياء ـ ابن كثير ٢٨٦/٣ .

(٣٢) أنظر : لسـان العرب مادة : « أيم » .

(٣٣) نفس المرجـع .

مالية أم اجتماعية أم نفسية ، أم غير ذلك من الأسباب التى تعـوق زواجهم وتؤخره عن وقته المناسب ·

بمعنى : أن على الآباء : معـاونة أولادهم فى زواجهـم مبكرا ، سواء أكان هؤلاء الأولاد : من البنين ، أم البنات .

وعلى عامة المسلمين : أن يهتموا ببعضهم بعضـا حتى لا يبقى فى مجتمعهم رجـل أو امـرأة بدون زواج ·

فينبغى للأهـل والجـيران والأصدقاء جميعا : أن يعـيروا هـذا الأمر كل اهتمامهم ·

وأما من لم يكن له قريب ولا صـديق : فعلى ولاة الأمـر مسـاعدته على الاحصـان بالزواج ·

وعلى الحكام : ازالة جميع العقبات من طريق تسـهيل الزواج ، وتيسـيره للجميع ، ومد يد العـون والمساعدة فى هذا الموضـوع حتى لا يصبح مشكلة ، وتنشـأ أخطار حقيقية ، مؤكدة ، يبحث لها عن الحلول ، وتستعصى !!!!

ونلاحظ : أن الله تعالى لم يشترط الصلاح فى هذا الصنف كما اشترط بعد ذلك فى العبيد والاماء .

وذلك : لأن توافر الصلاح ضرورة للزواج فى العبد والأمة ، كما سنعرف ذلك قريبا .

أما فى الأحرار ، فانه من المعلوم أن النكاح لا ينعقد الا برضا الطرفين الرجل والمرأة ، ولن يقدم أحدهما الا على ما يعرف أنه أنفع له .

ودور من يساهم فى الزواج فى هذه الحال ، هو دور المستشار أو المساعد ، أو واسطة التعارف ، ولا مسئولية عليهما بعد ذلك ، انما المسئولية على الحر نفسه ، وكثيرا ما يحمل الزواج صاحبه على استقامة سيره وتقويم أعوجاجه ، ان كان ذلك .

والصنف الثانى : هم صالحوا العبيد والاماء الذين بغير زواج .

وهؤلاء : قد أمر الشرع سادتهم بتزويجهم ، لنفس الغرض ذاته ، قطعا لدابر العزوبة من مجتمع المسلمين ، وسدا لثغرات المفاسد والانحرافات .

وهو فى نفس الوقت : احترام لانسانية العبيد ـ يدعو اليه الاسلام ضمن مبادئه القويمة ـ واشباع لهذه الغريزة الفطرية المركوزة فى الأحرار والعبيد على السواء ، والتى لا يقل خطر كبتها فى العبد عن الأحرار شيئا ان لم يزد عنه .

ونلاحظ : أن المشرع اشترط فى هذا الصنف الصلاح .

والمراد بالصلاح هنا : هو الصلاح الشرعى ، وهو القيام بحقوق الله تعالى ، الواجبة عليه ، من امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

ومن الطبيعى أن من يكون هكذا : يكون لين الجانب ، كريم الخلق ، حسن العشرة ، مأمون العواقب ، أهلا لتحمل المسئولية ، والقيام بمهام التكاليف ، ويكون له الحظوة عند سيده ، يحوز رضاه ، ويحظى بعطفه .

وفى نفس الوقت : لا يضيع بالزواج حقــوق ســيدة ، أو بعضــها ، ولا يضــيع ـ كذلك ـ من يتزوجهــا ، أو يسئ عشرتها ، بل سيتحمل أعبــاء الحياة الزوجية ، ويعيش مــع شريكته عيشة هانئة مطمئنة .

بعكس غير الصــالحين منهم .

فان نفس ســيده تأنف من فكرة مســاعدته فى الزواج ، ولا تقبل التنــازل عن بعض حقوقها مع هذا الشخص وأمثاله ، أو ضــياعها .

فضلا عن أنه سيفوت عليه كثيرا من المصــالح والفوائد بهذا الزواج .

الى جانب أنه : سيكدر على من يتزوجها ، أو من تتزوجه ـ ان كانت أمة ـ الحياة ، ويحيلها الى شقاء وتعب ومشاكل .

● **التنفير من العزوبة .**

قال انس بن مالك رضى الله عنه ، جــاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبــادة النبى صلى الله عليــه وسلم ، فلما أخبروا ، كأنهــم تقالوها .

فقالوا : وأين نحــن من النبى صلى الله عليــه وسلم ؟ قــد غفر الله له ما تقدم من ذنبــه وما تأخر !!

قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .

وقال آخــر : أنا أصــوم الدهــر ، ولا أفطر .

وقال آخــر : أنا أعتزل النســاء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم . فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. ؟ أما والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى :

أصوم وأفطر .

وأصلى وأرقد .

وأتزوج النساء .

« فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٣٤) ه

لماذا .. ؟

لماذا الذى يرغب عن الزواج ينبذ بهذا الشكل .. ؟

أليس كل انسان حر فيما يفعله ، وفيما لا يفعله .. ؟

نعم للانسان كل الحرية ، وكامل الحرية ـ بشرط ألا يفسق ، أو يفجر ، أو يشيع الفاحشة ، أو ينتقص بحريته من حريات الآخرين .

والذى يعرض عن الزواج مع الصحة واليسر والفراغ والشباب والغرائز الجامحة ـ مع وجود ذلك ـ أو بعض ذلك :

تكون نفسه عادة : ميدانا تموج فيه خواطر الشر والانحراف ، ومسرحا تجول فيه جنود الشيطان والفساد والاستهتار .

ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

وان من كان حاله كذلك : حبب اليه الشيطان الدعارة

---

(٣٤) رواه : البخارى ، كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح (واللفظ له) ، ورواه : مسلم ، كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤنة .

والتهتك ، والفسوق والعصيان ، فان قاوم ذلك زمنا ، فلن يستطيع الا قليلا ، حتى يخور ويستكين ، ويضعف فى فترة العزوبة أمام الشهوات ويلين .

وفى ذلك : قضاء على حريته أولا ، وثانيا : باب مفتوح للقضاء على حريات الآخرين .

ولهذا :

حذر عليه الصلاة والسلام من العزوبة بشدة ، فقال :

« من قدر على أن ينكح ، فلم ينكح ، فليس منا »(٣٥) .

كما نهى صلى الله عليه وسلم عن العزوبة ولو كانت للتبتل والرهبنة .

« فعن سعد بن أبى وقاص ، قال : لما كان من أمر عثمان ابن مظعون ، الذى كان ممن ترك النساء ، بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

ياعثمان .. !! انى لم أومر بالرهبانية ، أرغبت عن سنتى .. ؟؟ قال : لا يارسول الله ، قال : ان من سنتى : أن أصلى وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ياعثمان ان لأهلك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا » .

قال سعد : فوالله .. !! لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان هو أقر عثمان على ما هو عليه ، أن نختصى ، فنتبتل »(٣٦) .

---

(٣٥) مسند الدارمى ، كتاب النكاح ـ باب : الحث على التزويج .
(٣٦) رواه الدرامى ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن التبتل .

وبهذا : أغلق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الباب من الشر أن ينفتح على البشر ، الذين ركبت فيهم الشهوة ، وخلقت فيهم الرغبة ، وفى نفس الوقت : طلب منهم الزواج ، وفرضت عليهم العبادة .

نعم : أغلق هذا الباب من الشر حتى لا يعوق المسلم عن أن يكون جديرا بمقام خلافته لله تعالى ، وحتى لا يعوقه عن عبادة ربه سبحانه وتعالى .

ومن هنا : خشى كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، من العزوبة ، واستعاذوا بالله منها ، ولجؤا الى طاعة الله تعالى بالزواج بعدا عنها .

فهذا : عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، يقول : « لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام ، وأعلم أنى أموت فى آخرها ، ولى طول على النكاح فيهن : لتزوجت ، مخافة الفتنة »(٣٧) .

وهذا : عبد الله بن عباس ، رضى الله عنه ، يقول : « لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج »(٣٨) .

وهذا : عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يقول : « لا يمنع من النكاح الا : عجز أو فجور »(٣٨) .

وهذا : معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، بعد أن ماتت له امرأتان فى الطاعون ، وكان هو مطعونا كذلك ، يقول :

---

(٣٧) ابن قدامه ـ المرجع السابق ٧/٤ .

(٣٨) أنظر : الغزالى .. المرجع السابق ٢/٢٩ ، ٣٠ ابن قدامه .. المرجع السابق ٧/٦ .

« زوجونى ، فانى أكره أن القى الله عزبا »(٣٨) .

ويقال : ان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أم ولده عبد الله ، وقال : أكره أن أبيت عزبا(٣٨) .

وهكذا :

حرص شديد على الزواج وخوف أيضا شديد من العزوبة .

وليس مبعث هذا الحرص منهم هو الرغبة فى الاستمتاع الجنسى ، كما هو واضح ، ولكنها : الرغبة الصادقة فى الامتثال لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، لما قد عرفوه ، وتيقنوا من صدقه ، ولذا سارعوا الى الزواج قدر استطاعتهم ، وساعدوا غيرهم عليه قدر طاقتهم .

● **أضرار العزوبة .**

وليس تنفير الرسول صلى الله عليه وسلم من العزوبة الا خشية على أمته من أضرارها ، وانقاذا لجماعته من شرورها .

روى : أن قوما ذكروا لنبى لهم ، فضل عابد لهم ، فقال : أما انه لتارك لشىء من السنة ، فبلغ العابد ، فأتى النبى ، فسأله عن ذلك ، فقال : انك تركت التزويج ، فقال : يانبى الله وما هو ... ؟ فلما رأى النبى احتقاره لذلك قال : أرأيت لو ترك الناس كلهم التزويج .. !! من كان يقوم بالجهاد ؟ وينفى العدو ، ويقوم بفرائض الله وحدوده ؟(٣٨) .

وفوق كل ذلك :

فهناك أضرار للعزوبة كثيرة ، وهى :

اما أن تكون للرجل وحده .

واما أن تكون للمرأة وحدها .

واما أن تكون للأمة جميعها .

ولو حاولنا الاشارة السريعة الى هذه الأضرار ، لتبين لنا ما يلى :

(أ) أضرار الرجل :

فالرجل الذى يتأخر ف الزواج أو يضرب عنه : لا يمكن أن يكون رجلا سـويا .

فهو يعانى من وطأة غرائزه الجنسية المركوزة فيه ، ذلك أنه ان لم يكبتها : تؤدى به الى الفسق والفجور ، والانحراف ، وان كبتها : جاهد نفسه ، جهادا طويلا ، يستغرق منه الوقت ، والانشـغال ، والمعـاناة الدائمـة ، التى لا تدعه خالى البـال لعمل ما الا قليلا ، وبالقدر الذى لا يسمح له باجادته .

وف نفس الوقت : يحرم نفسه من ممارسة مباح ممتع ، يجعل كل أعضائه وحواسه ف تناغم وانسجام .

وكذلك : يحرم نفسـه من الاسـتمتاع بأبوتـه ، هـذا الاحساس الذى يهون على الرجل تحمل مشاق الحياة ، ومقابلة أصانيفها بروح التفاؤل والثقة ، وما أمتع ما يسمع المرء كلمة « بابا » ف نهاية يوم حافل بالعمل الجاد ، بل الشاق كذلك ، نغمة حلوة تمسح عنه متاعبه ، وتخفف عنه أوجاعه ، وتشعره بقيمته وأهميته .

وما أتعس من يعود بعد تعب ومشقة يوم حافل ، فلا يجد أمامه الا حيطان بيت معلق عليها هواجس شيطان ، وخواطر مرضى ، وأشباح آمال زائفة . !!!!

(ب) أضرار للمرأة .

واذا كانت أضرار العزوبة بالرجل شديدة ، فهى على المرأة أشد ، حيث : أن المرأة أشد احتياجا من الرجل الى الأنيس ، واذا لم تشعر بهذه الحاجة فى مطلع شبابها ، لانشغالها بعمل أو بدراسة ، فاحساسها بها يكون أليما بعد ذلك .

حيث أنها : الجزء المنفعل ، والمستقبل ، والمتأثر ، بين نوعى الانسان ، وهذا الجزء بالضرورة : تكون حاجته الى الفاعل والمؤثر شديدة وقوية .

فضلا عن ذلك : فان المرأة لا تحس بأنوثتها الكاملة ، الا اذا مارست رسالتها الطبيعية فى الحياة ، وهى الأمومة ، ولو تأخرت المرأة فى الزواج ، لحرمت من ممارسة هذه الفطرة ، حتى ولو أنجبت بعد طول عزوبة ، لكان فارق السن بينها وبين أولادها مانعا شديدا من القدرة على التأثير فيهم ، والتجانس معهم ، والاحساس بهم ، والاحساس منهم بها ، فضلا عن أن مدة الانجاب : تكون أقل أمامها عن ذى قبل .

الى جانب : أن تأخر المرأة فى الزواج ، يساعد كذلك على جعلها فريسة سهلة لاخوان الشياطين ، ومرتعا خصيبا لهموم الوحدة ، ومجالا لتربية الأحقاد عندها كلما رأت أترابها وهن يتمتعن بنعيم الأمومة ، وحلاوة المشاركة فى الحياة الزوجية

(ج) أضرار بالمجتمع .

أما المجتمع : فهو الضحية دائما للعزوبة ، فكلما زاد فيه عدد العزاب رجالا كانوا أم نساء ، كان انتشار الرذائل فيه :

أمرا واقعا أو متوقعا ، الى جانب : نقص إعداد أفراده مع مرور الأيام ، وانتشـــار العزوبة ، بل مع ذلك تنشـــأ فيه أجيـــال لم تترب فى أحضـــان يولد بينها وبينهم التجاوب والتفاهم ، نظرا لفوارق الســـن ، التى تحمـــل معهـــا بالضرورة : فوارق التفكير ، والتكيف مع متطلبات الأجيال الجديدة .

وصدق الشاعر العربى حينما قال فى ذلك :

ان بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

ولا يخض على أحد : ما تطالعنا به جرائد بعض الأقطار العربية ومجلاتها ، من انحرافات الشباب المتنوعة .

فمن مجموعات من هؤلاء الشباب : تخصصت فى سرقـــة الســـيارات .

الى مجموعات أخرى : تخصـــصت فى اختطاف الفتيـــات والسيدات .

الى مجموعات ثالثة : سارت فى طريق الدعارة ، بقدم ثابتة أو مرتعشـــة .

وليس الذى يدفع هؤلاء الشباب الى هذه الانحرافات هـــو الفقر ، كما قد يتصور البعض !! حيث أن كثيرا من ســـارقى السيارات : يتركونها بعد قضاء مآربهم فى أى مكان سليمة ، لم يمسسها سوء ، والقلة التى تبيعها أو تبيع بعض أجزائها وتتركها بعد ذلك : كثيرا ما وجد أنهم من أبناء الأسر صـــاحبة الدخل المرضى الذى لا يلجؤ أبنائهم الى مثل ذلك .

أما بالنسبة لمختطفى الفتيات والسيدات : فلا يختلف الأمر معهم عن ذلك كثيرا ، اذ قلما نجد من يختطفهن من أجل النقود ، بينما الغالبية العظمى من أصحاب هذا الانحراف ، كثيرا ما يكون الدافع الرئيسى لهم على ذلك هو العامل الجنسى

وليس ببعيد عن ذلك : من انحرفن من الفتيات فى طريق الفاحشة ، حيث وجد الباحثون أن السبب فى هذا الانحراف ليس الفاقة ، وانما لرغبتها فى شراء فستان غالى الثمن ، أو رغبتها فى الحصول على أدوات الزينة ، وقد يكون هذا الانحراف : بهدف الاستمتاع باللذة الآثمة فقط .

وقد وجد الباحثون والمحللون لهذه الظاهرة : أن من أسبابها الرئيسية ، هو تأخر الشباب فى الزواج ، لأسبابه التى سوف يعرض هذا البحث لبعضها بعد قليل .

وعلى كل :

فان أى مجتمع تشيع فيه مثل هذه الظواهر ، التى يعد الباحثون العزوبة من أسبابها الرئيسية ، دون أن يتدخل أولوا الأمر فيه ، تدخلا سريعا بالحلول المناسبة : لهو مجتمع يحمل بين جوانجه عوامل تخلفه ، وانحطاطه ، بل هدمه وفنائه .

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما نبه وحذر من العزوبة وانتشارها فى المجتمع ، على نحو ما سبق قريبا .

● **عقبات فى طريق تسهيل الزواج** •

يحرص النظام الاسلامى : على أن يزيل العقبات من طريق اتمام الزواج بين جماعة المسلمين . تمكينا لهم من : النجاح

والرقى فى هذه الحياة ، وحسن استخلافهم لله فى هذه الأرض ، ووصـــولا بهم الى الســـيادة والزعامة فى هذا العالم المتطاحن السالك طريق الهاوية بضلاله المتردى فيه .

غير أن شياطين الانس وضعفـــاء البشر ، يحبون خلق العقبات ، والتمحك بهـا أمام التيسيرات الالهية فى التشريعات الاســلامية للانســـان ٠

ولذا : ظهرت لدى أكثر الناس ، ان لم يكن لدى عامتهم ، بعض الموانع التى تعوق عن الزواج المبكر ٠

وذلك مثـــل : التفرغ لاتمام التعليم والحصـــول على الشهادات ، أو الوصول الى سن يؤهل لحمل المسئوليات ٠٠ الخ

وقد ساهمت فى ايجــــاد هذه المعوقـــات : بعض الأنظمة الرسمية ، فى بعض البلاد الاسلامية ، التى تشترط مثل هــذه المعوقـــات ٠

وذلك مثل : اشتراط عدم الزواج ، على بعض الدارســـات من الفتيات ، كمدارس المعلمات ، ومدارس التمريض ٠٠ الــخ ٠ أو اشتراط عدم الزواج بالنسبة لبعض الوظائف النســـوية كذلك ٠

وقد ساهمت الحياة المعاصرة بظروفها وأوضاعها المعقدة : فى اظهار العقبات الكثيرة التى يظهر بعضها فى قطر من الاقطار ، وبعضها الآخر فى قطر آخر ، وبعضها الثالث ، وهكذا ، كأزمــة الاســكان ، أو ارتفاع المهــور ، أو انتظار الشاب المناسب ، أو البحــث عن الفتــاة المناســبة ، الى غير هذه الأشياء ٠

بيد أنه من أهم هـذه الأسباب ، التى يكاد يجمع عليهـا الناس ، فى كل البيئات ، وفى كل الأزمان .

ذالكم ! هو الفقر .

وسنواصل الحديث عن الفقر ، وباقى هذه العقبات ، مع تقديم الحلول الاسلامية لها فى طبعة تالية لهذا البحث ، ان شـاء الله ، حتى نبرز أن الزواج ، بالصـورة التى شرعها الله تعالى به ، أمر جد ميسور ، لو فهم ذلك !!!

تم بحـمد الله تعـالى

كلمـة أخيرة ..

هذه الموضوعات ، التى قدمناها ـ بعون الله تعـالى ـ فى هـذا الجزء ، عبارة عن أبحـاث :

نشر بعضـها فى بعض المجلات العربيـة ، التى تصـدر بالأقطار الاسلامية الشقيقة .

ثم كان : تشجيع مخلص لى ، على أن أرتقى بها « المنبر » ـ وما كنت أعتاد ذلك قبلا ـ من أخى الفاضل : الأستاذ الدكتور على يوسف السبكى ، جزاه الله خيرا عن ذلك ..

فألقيتها ، بفضل الله تعالى ، مع غيرها ، بمسجد ، قـام ببنائه ، ويقوم عليه ، رجل : يساهم فى الدعوة الى الله تعالى ، على قدر طاقته ، بجهد طيب ، ويقدر الدعاة ، ويحبهم ، جزاه الله خيرا ، وهو : أخى الفاضل : الحاج عبد الموجود محمد سليمان والمسجد هـو : مسجد سعد بن أبى وقاص » بميدان النعـام بالقـاهرة .

وكذلك : ألقيت مع غيرها ، على طلاب السنة الرابعة بكلية أصول الدين والدعـوة الاسلامية ، « بالمسجد العباسى » بمدينة « شـبين الكـوم » .

الى غير ذلك من الأمـاكن ، التى أتمنـى من الله تعـالى أن يشرح لنا فيها الصدور ، وأن ينفع فيها بما نقول .

أبو أروى
عبد الحى الفرماوى

الفهارس

فهـرس المراجـع

١ ـ القران الكريم

٢ أحكـام القرآن

تأليف : أبى بكر محمد بن عبد الله ، المعروف : بابن العربى ·
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ـ ١١٤٧ هـ ·
تحقيق : على محمد البجاوى ·
٤ أجـزاء ·
طبع : عيسى الحلبى ـ القاهرة ·

٣ ـ احيـاء علوم الدين

تأليف : الامام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى
المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م ·
٥ أجزاء ·
نشر : مؤسســـة الحلبى وشركـاه للنشر والتوزيع ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ القـاهرة ·

٤ ـ أساس البلاغة

تأليف : الامام الكبير جار الله أبى القاســم محمود بن عمر الزمخشرى ·
المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ـ ١١٤٢ م
تحقيق : الاستاذ عبد الرحيم محمود ·
جزء واحد فقط ·
دار المعرفة للطباعة والنشر · بيروت ـ لبنان ·

٥ ـ تفسير القرآن العظيم

تأليف : الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ·
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧١ م ·
٤ أجـزاء ·
طبع بدار احياء الكتب العربية : عيسى الحلبى ـ القـاهرة ·

٦ ـ الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذى)

لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ·
المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م ·

تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ـ القاضى الشرعى ٠
٥ أجـزاء ٠
طبع ونشر : مصطفى الحلبى ـ القاهرة ٠

٧ ـ الجامع لاحكام القرآن

تأليف : أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ٠
المتوفى سنة ٦٧١ هـ ـ ١٢٧٢ م ٠
٢٠ جـزء ٠
الطبعة الثالثة : عن طبعة دار الكتب المصرية
دار القلم ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م القـاهرة ٠

٨ ـ الحجـاب

تأليف : أبى الأعلى المودودى ٠
المتوفى سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ٠
جـزء واحد ٠
الشركة المتحدة للتوزيع ٠ بيروت ـ لبنان ٠

٩ ـ سنن أبى داود

صنفه وجمعه : الامام الحافظ أبو داود سليمان ابن الاشعث بن اسحاق السجستانى ٠
المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ـ ٨٨٩ م ٠
وعلية تعليقات : الشيخ أحمد سعد على « من علماء الأزهر الشريف » ٠
جزءان ٠
الطبعة الأولى ٠
طبع ونشر : مصطفى الحلبى ـ القاهرة ٠

١٠ ـ سنن ابن ماجه

للحافظ : أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى
المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ـ ٨٨٨ م ٠
حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلق عليه : المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبـد الباقى ٠
جـزءان ٠
نشر : عيسى الحلبى ـ القاهرة ٠

١١ ـ سنن النسـائى « بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى ، وحاشية السندى »

للامام : أحمد بن شعيب بن على بن سـنان ٠
المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ـ ٩١٥ م ٠
٨ أجزاء فى ٤ مجلدات ٠
دار الكتب العلمية ٠ بيروت ـ لبنـان ٠

١٢ ـ سنن الدارمى
للامام : أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى ٠
المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٨ م ٠
طبع بعناية : محمد أحمد دهمان ٠
جزءان ٠
نشر : دار احياء السنة النبوية٠ بيروت ـ لبنان

١٣ ـ سنن الدارقطنى ٠
تأليف : شيخ الاسلام على بن عمر الدارقطنى ٠
المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م ٠
تحقيق : السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى بالمدينة المنورة ـ الحجاز ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م
٤ أجزاء فى مجلدين ٠
طبع : دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة ٠

١٤ ـ السيرة النبوية ٠
تأليف : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميرى
المتوفى سنة ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م ٠
تحقيق : مصطفى السقـا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى ٠
٤ أجزاء فى مجلدين ٠
الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م ٠
طبع ونشر : مصطفى الحلبى ـ القاهرة ٠

١٥ ـ صحيح مسـلم
للامام : أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ٠
المتوفى سنة ٢٦١ هـ ـ ٨٧٣ م ٠
تحقيق : المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى
٥ أجـزاء ٠
نشر : عيسى الحلبى ـ القاهرة ٠

١٦ ـ صحيح مسلم « بشرح النووى »٠
للامام : محى الدين ابى زكريا بن شرف ٠
المتوفى سنة : ٦٧٦ هـ ـ ١٢٧٨ م ٠
١٨ جـزء فى ٦ مجلدات ٠
المطبعة المصرية ومكتبتهـا ـ القاهرة ٠

١٧ ـ فتح البارى « بشرح صحيح البخارى » ٠
للحافظ : أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٠
المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨ م ٠

قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا : عبد العزيز بن باز .
رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه .. الخ : محمد فؤاد عبد الباقى .
اشرف على طبعه : محب الدين الخطيب .
١٣ جزء + جزء كامل ، هو : « هدى السارى - مقدمة فتح البارى » .
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان .
توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع « عباس أحمد الباز » مكة المكرمة .

١٨ الفتوحات الالهية « بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية » .
تأليف : سليمان بن عمر العجيلى الشافعى ، الشهير بالجمل
المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ - ١٧٩٠ م .
٤ أجزاء .
طبع : عيسى الحلبى - مصر .

١٩ - فى ظلال القرآن
بقلم : سيد قطب .
المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
٣٠ جزء فى ٦ مجلدات
الطبعة الشرعية العاشرة .
نشر : دار الشروق - القاهرة .

٢٠ - لسان العرب
تاليف : جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم ابن احمد بن أبى القاسم بن حبقة بن منظور .
المتوفى سنة ٧١١ هـ - ١٣١١ م .
٦ أجزاء .
طبع : دار المعارف - القاهرة .

٢١ - محاضرات الأدباء « ومحاورات الشعراء والبلغاء » .
لابى القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهانى
المتوفى ٥٠٢ هـ ١١٠٧ م
٤ أجزاء .
منشورات : دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦١ م

٢٢ - المغنى
تأليف : ابى محمد عبد الله بن احمد بن محمد ابن قدامه .

المتوفى سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٣ م ٠
تحقيق : الدكتور طه الزينى ٠
١٠ أجـزاء ٠
الناشر : مكتبة القاهرة لصاحبهـــا : على
يوسـف سليمـان ٠
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ٠

٢٣ - المستطرف فى كل فن مستظرف ٠
تأليف : شهاب الدين محمد بن أحمد ابى الفتح
الابشيهى المحلى ٠
المتوفى سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م ٠
جزءان فى مجلد واحد ٠
الطبعة الاخيرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ٠
نشر : دار أحياء التراث العربى - القاهرة ٠

٢٤ - المعجم المفهرس لالفـاظ القرآن الكريم ٠
وضع : محمد فؤاد عبد الباقى ٠
طبع ونشر : دار الشعب - القاهرة ٠

٢٥ - النهـاية فى غريب الحديث والأثر ٠
تأليف : الامام مجد الدين ابى السـعادات
المبارك محمد بن الجزرى بن الاثير ٠
المتوفى ٦٠٦ هـ - ١٢٠٨ م ٠
تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحى ٠
الناشر : المكتبة الاسلامية ٠

فهرس التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٤	قد	وقد
١٨	١٢	يأيها	ياأيها
٢٢	١٠	خطأ	خطاء
٣١	٢ ، ٤	خطأه	خطئه
٤٠	٢٠	لأنه	لأنه يغيث
٤١	١	وينفذها	وينقذها
٤٩	١٢	فبل	قبل
٥٣	٢٣	الوضوخ	الوضوح
٦١	٢٠	مجتمعنا	مجتمعا
٦٤	١٩	ثلاث	ثلاثة
٦٧	٥	الثلاث	الثلاثة
٨٧	١٨	أقاربهم	أقاربنا
١٠٥	١٢	بقول	يقول
١١٠	١٥	الطبيعبه	الطبيعية
١١٢	١٤	وتتعامل	وتعامل
	٢١	أتو	أوتوا
١١٥	٨	افتدته	افتدت
	٩	جاء	جاءت
	١١	ما أعتب	ثابت بن قيس ما أعتب
	١١	ولكن	ولكني
١١٦	١ ، ٢	ترتيب السطور	يوضع السطر ٢ قبل ١
١٢٧	٦	واخصائيو	وأخصائيوا
١٣١	٥	تكبيز	تكبير
١٣٤	٤	ودنما أماته	ودونما اماته
١٣٥	١١	قد خلت	فدخلت
١٤٣	٦	يصبوا	يصبو
١٤٤	١٥	كهتيم	كهشيم
١٥٤	٩	هذه الله	هذه الأرض
١٦٩	١	سيدة	سيده
١٧٦	٨	ولا يخض	ولا يخفى

فهـرس الموضـوعات

كتب للمؤلف

١ ـ **البداية فى التفسير الموضوعى** . (الطبعة الثانية)

٢ ـ **الخلافات الزوجية** (نفـذ)

٣ ـ **رسم المصحف** : بين المؤيدين والمعارضين .

٤ ـ **زينة المرأة** : بين التشريع الاسلامى والواقع الانسانى (الطبعة الثانية)

٥ ـ **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** :

للامام ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ . (**تحقيق**)

٦ ـ **قصة النقط والشكل فى المصحف الشريف** . (نفـذ)

٧ ـ **وصايا سورة الاسراء** . (نفـذ)

تحت الطبع ان شاء الله تعالى

٨ ـ **أحكام القرآن** : للامام الباغانى المتوفى سنة ٤٠١ هـ . (**تحقيق**)

٩ ـ **اجابات السماء** : (مجموعة قصصية من أسباب النزول) .

١٠ ـ **تدوين القرآن الكريم** .

١١ ـ **زاد الدعاة** . (الجزء الثانى)

١٢ ـ **فترة الخطوبة** : بين التشريع الاسلامى والواقع المعاصر .

رقم الايداع ٢٩٧٤ / ٨٤

الترقيم الدولى ٠ ـ ١٤ ـ ٤٧٨ ـ ٩٧٧